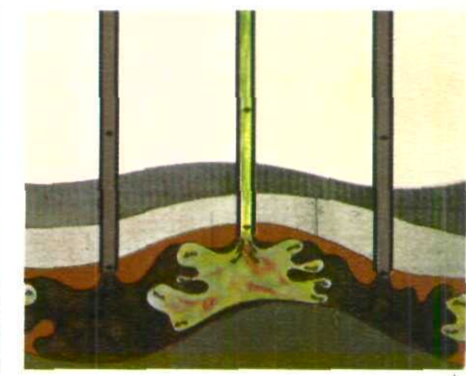


قافلة الزيت

جمادى الاولى ١٤٠١هـ/مارس - ابريل ١٩٨١م

صناعة العبي والمشالح في الاحساء

بسم الله الرحمن الرحيم



٨



١٦



٢٥

قافلة الزيت

العدد الخامس المجلد التاسع والعشرون

جمادى الاولى ١٤٠١هـ / مارس - ابريل ١٩٨١م

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها

ادارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣١٩

الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

صورة الغلاف :

خياط يزاول مهنة الخياطة في محل البيع ، ويقوم بتركيب القصب في المشلح .

تصوير : علي عبدالله خليفه

تطور الثقافة العربية
في القرن الرابع عشر الهجري

بقلم د. عبد الوهاب علي الحكمي

في مقال سابق تحدثنا عن تطور الثقافة الغربية في القرن الرابع عشر الهجري ، حيث استعرضنا المدارس الحديثة التي ظهرت واتجاهاتها ، وكيف اهملت الثقافة الغربية القيم والتراث الأوربي فباعدت بين الانسان وجذوره .

وفي هذا المقال سنتناول تطور الثقافة العربية في القرن الرابع عشر الهجري ، وسنرى كيف تأثرت بالثقافة الغربية في بعض الوجوه .

عندما احتك الفكر العربي بالثقافة الغربية في نهاية القرن الثالث عشر بدأت شعلة الثقافة العربية تزداد اضاءة وأصبح هناك اهتمام ملحوظ بالثقافة وتطورها واحياء المخطوطات العربية القديمة ونشر الدراسات الفكرية المختلفة . وقد كان للبعثات التي ارسلها محمد علي الى فرنسا وايطاليا اثر كبير في احياء الفكر العربي . وقد تحدث رفاعة الطهطاوي الذي ذهب كامام ومرشد ديني مع بعثة طلاب ذهبت الى فرنسا في عام ١٨٢٦ الموافق ١٢٤٢هـ عما شاهد في باريس في كتابه « تلخيص الابريز الى تلخيص باريز » عن الثقافة الغربية وما أعجبه من عادات وسلوك واهتمام فكري وما استهجنه من تلك الثقافة كعدم صيانة المحارم والشرف . ولقد كان له الفضل عندما عاد الى مصر وعين مديراً لمدرسة اللغات في عام ١٨٣٦ الموافق ١٢٥٢هـ في دفع حركة الترجمة ونشر الكتب وطبعها . ولقد تحدث الطهطاوي عن الاصلاح التربوي في كتابه « المرشد الأمين للبنات والبنين » ، وناقش الطهطاوي منافع الترجمة ووسائل تحسينها في ترجمة لقصة الكاتب نلسون « مغامرات سكيماك » والتي ترجمها عندما نفاه الخديوي عباس الى السودان عام ١٨٥٤ الموافق ١٢٧١ هجرية ولقد طبعت تلك الترجمة في بيروت في عام ١٨٦٧ الموافق ١٢٨٤هـ تحت عنوان « مواقع الافلاك في وقائع سكيماك » ، ثم ظهر في لبنان أديب اهتم بالناحية اللغوية وهو أحمد فارس الشدياق الذي حاول في كتابه « الساق على الساق فيما هو الفرياق » الذي نشره في باريس بعد رحلة علمية قام بها الى جامعتي كمبردج واكسفورد ان يظهر مقدرته اللغوية ، ثم سافر الى القسطنطينية حيث اعتنق الدين الاسلامي وأصدر صحيفة « الجواب » التي صدرت في عام ١٨٨٤ الموافق ١٣٠٢هـ . وينبغي ان لا ننسى فضل بطرس البستاني صاحب قاموس المحيط ودائرة المعارف الاسلامية وكذلك ناصيف اليازجي صاحب مجمع البحرين الذي يعد مصدراً هاماً من مصادر تطور النشر

العربي الحديث . ظهر بعد ذلك علي المبارك الذي صور في كتابه « علم الدين » الذي صدر في عام ١٨٨٢ الموافق ١٣٠٠هـ قصة الصراع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية . هذا الكتاب في أجزائه الثلاثة يصور حياة انجليزي حضر الى مصر وتجول فيها مع مصري ، وفي أثناء هذة الجوله يقص الانجليزي على المصري مدى الفائدة التي يمكن أن يستفيدها سكان مصر من الانجليز وماذا يمكن ان يتعلم سكان الغرب من عادات وسلوك الشرقيين . أما حديث عيسى بن هشام لمؤلفه محمد المويلحي الذي نشر في حلقــات في جريدة « مصباح الشرق » في عام ١٨٩٨ الموافق ١٣١٦هـ حتى عام ١٩٠٣ الموافق ١٣٢١هـ ثم طبع في كتاب في عام ١٩٠٧ الموافق ١٣٢٥هـ ، كان له أثر بالغ في تطور القصة العربية ، فلقد كتب بأسلوب المقامة واتبع السجع العربي ولكنه قدم ووضع في شكل قصة مقلداً في ذلك القصة الغربية . ولعل أبرز كاتب أثر في أسلوب القصة العربية هو مصطفى لطفي المنفلوطي بالرغم من انه لم يتعلم أي لغة أجنبية بل كان يطلب من أحد اصدقائه ان يترجم له بعض القصص الغربية مثل قصة بول وفرجيني ثم يصوغها بأسلوبه العربي الجذاب . ان فضل المنفلوطي يبرز في أنه استطاع ان يخلص الأسلوب العربي في كتبه مثل « العبرات والنظرات » من قيود السجع .

في هذه الفترة كذلك جورجي زيدان ، ومع تحفظنا اتجاه بعض أعماله الا أن اثره الفكري لا ينكر خاصة في دفع الأسلوب العربي وحركة الثقافة العربية . فلقد ترجم عدداً من القصص الأجنبية بالاضافة الى القصص التي الفها ونشرها في مجلته « الهلال » منذ عام ١٨٩٢ الموافق ١٣١٠هـ . لقد ألف جورجي عدداً من القصص التاريخية التي صورت تطور التاريخ الاسلامي باسلوب تعليمي شيق فحاول في ذلك أن يقلد الكاتب الانجليزي ولترسكوت . ولما كان جورجي زيدان يجيد عدداً من اللغات الأجنبية فقد ألف في مختلف الفنون والمعارف . والواقع ان عدم تركيز جورجي زيدان على فن معين هي نقطة الضعف الاساسية لأن ذلك أدى الى عدم التعمق في البحث كما أشار الى ذلك الدكتور طه حسين . وخير دليل على صحة هذا الكلام ان الدكتور حسين مؤنس في اعادة طبعه لكتاب جورجي زيدان « تاريخ العرب قبل الاسلام » وجد فيه أخطاء كثيرة والدكتور شوقي ضيف اضطر الى وضع كثير من التصحيحات والشروحات لكتاب « تاريخ اداب اللغة العربية » .

ظهرت بعد ذلك مجموعة من القصص التي أثرت في تطور القصة العربية وبلورت اسلوب النثر العربي . فقد نشر محمد حسين هيكل رواية « زينب » في عام ١٩١٣ الموافق ١٣٣٢هـ والتي بدأ بكتابتها أثناء وجوده في فرنسا حيث كان طالباً في كلية الحقوق وهي كما يدل عليها عنوانها الثاني « مناظر واخلاق ريفية » بقلم مصري فلاح حيث انه لم ينشر اسمه الصريح حتى عام ١٩٢٩ الموافق ١٣٤٨هـ وهذه القصة تعتبر أول قصة عربية فنية .

نشر كذلك عيسى عبيد « ثريا » في عام ١٩٢٢ الموافق ١٣٤١هـ ، ونشر محمود تيمور « رجب افندي » عام ١٩٢٨ الموافق ١٣٤٧هـ ، ونشر طه حسين الجزء الأول من « الايام » سنة ١٩٢١ الموافق ١٣٤٠هـ ، وهذا العمل الفني يعد أول ترجمة ذاتية في الأدب العربي الحديث ، ونشر ابراهيم المازني « ابراهيم الكاتب » عام ١٩٣١ الموافق ١٣٥٠هـ وهو يعد ترجمة لحياته ، ثم نشر توفيق الحكيم « عودة الروح » عام ١٩٣٣ الموافق ١٣٥٢هـ و « يوميات نائب في الأرياف » سنة ١٩٣٧ الموافق ١٣٥٦هـ و « عصفور من الشرق » سنة ١٩٣٨ الموافق ١٣٥٧هـ ونشر طاهر لاشين « حواء بلا آدم » سنة ١٩٣٤ الموافق ١٣٥٣ هـ . ونشر العقاد « سارة » سنة ١٩٣٨ الموافق ١٣٥٧ هـ .

هذه القصص بينت أثر الثقافة الغربية على الثقافة العربية المعاصرة كما شخصت ازمة الانسان العربي المعاصر .

وفي الشكل فقد تأثرت بكتاب القصة الأوروبية في القرن التاسع عشر من أمثال تولستوى وديستوفيسكي وترجنيف في روسيا ، وديكنز وجورج اليوت وتوماس هاردي في بريطانيا وبلزاك وفلوبير وموباسان وزولا في فرنسا ، اما في ناحية المضمون فكما ان القصة الأوروبية صورت التحول الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع الأوروبي ، فلقد صورت « زينب » و « حواء بلا آدم » و « سارة » و « ثريا » أزمــة الانسان العربي الحديث

والصراع بين القيم التي تتجاذبه ، ومشكلة المرأة العربية ، كما صورت قصص « عصفور من الشرق » و « عودة الروح » و « الأيام » و « ابراهيم الكاتب » الصراع بين الثقافة الغربية والثقافة العربية والتغير الاجتماعي والثقافي نتيجة للاحتكاك بين الثقافتين .

أما في تاريخ الأدب السعودي فاننا نجد الاستاذ عبد القدوس الانصاري ، اصدر أول رواية سعودية بعنوان « التوأمان » في عام ١٩٣٠ الموافق ١٣٤٩ هـ وقد كتب على غلافها أول رواية صدرت بالحجاز . ويجب أن نشير الى مجلة « المنهل » التي ما زالت تصدر منذ عام ١٩٣٧ الموافق ١٣٥٦ هـ حيث كـان لهـا دور كبير في تطـور النثر العربي والدراسات النقدية في البلاد العربية . وفي عام ١٩٤٨ الموافق ١٣٦٨هـ أصدر الأستاذ محمد علي مغربي رواية « البعث » وأصدر الأستاذ احمد السباعي « فكرة » ولا بد أن نشير ان فكرة بطلة القصة — وهي كما عرفها الكاتب على غلاف الكتاب فتاة هازئة بقواعد الحياة . . لا يغريها عن جمالها وفتنتها ما يغريها في الرأي — مصدرها المنطق الصحيح ، وكذلك جميل بطل قصة « ابو زامل » والذي عرفه الكاتب بأنه انسان لا يقر المبادىء التي لا يقرها عقل او منطق .

ولقد غير السباعي عنوان قصة أبو زامل الى « ايامي » وفي مجال القصة التاريخية نشر الاستاذ محمد زارع عقيل « امير الحب » على حلقات في مجلة المنهل عام ١٩٦٥ متأثراً في ذلك بجورجي زيدان أما في مجال القصة الفنية فقد نشر الاستاذ حامد دمنهوري « ثمن التضحية » و « مرت الأيام » والاستاذ ابراهيم الناصر « ثقب في رداء الليل » والمليباري « غربت الشمس » وهذه القصص تمثل الاتجاه الواقعي وتميل الى تصوير مشاكل المجتمع .

وبعد عام ١٩٤٠ الموافق ١٣٥٩هـ هيمن نجيب محفوظ على مسرح القصة العربية وربما حتى يومنا هذا . وقد مثل نجيب محفوظ في « خان الخليلي » و « زقاق المدق » و « بداية ونهاية » ثم في الثلاثية « بين القصرين » و « قصر الشوق » و « السكرية » التي صدرت في عام ١٩٥٢ الموافق ١٣٧٢هـ ، مثل المدرسة التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر ، فاذا كانت القصة الواقعية تأخذ مادتها من الحياة اليومية وتعالج قضايا عامة في المجتمع فان نجيب محفوظ قد نجح في قصصه في معالجة هذه القضايا الاجتماعية الأدبية ، وهناك ميزة اخرى تجعله القاص العربي الوحيد الذي ينافس كتاب القصة العالميين ، وواضع اسس الواقعية في القصة العربية فقد كان يرسم شخصياته ومواده بدون تدخل مباشر أو وعظ وهي نقطة الضعف التي تظهر في أغلب القصص العربية .

ونجيب محفوظ يرسم لوحة من المجتمع على صفحات قصصه وسيجد القارىء الذي يطالع هذه الصفحات انه ينظر الى المجتمع حيا يقرأ قصصاً أمامه وعليه أن يحكم على تصرفات الناس واعمالهم وأفعالهم بدون تدخل مباشر من المؤلف ، أما القصص التي نشرها فيما بعد مثل «اللص والكلاب » و « الشحاذ » و« الطريق » فلم يوفق فيها نجيب محفوظ من ناحية الابداع الفني بسبب انه كان يقلد مدارس أدبية بعيدة عن مشاكل المجتمع العربي . ان المدارس الأدبية ليست تقليداً يتبع وانما احساس داخلي من الكاتب ومرحلة تاريخية تصور نوعاً من التعقيد والمشـاكل التي تنبـع في أي مجتمع من المجتمعات في تلك الفترة وهذه المشاكل تنبع من صميم المجتمع .

وقد ظهر كذلك في هذه الفترة الحديثة يوسف ادريس الذي برع في كتابة القصة القصيرة . ويمتاز يوسف ادريس في « الحرام » و « حادثة شرف » بأنه دقيق في لغته ويميل الى الرمز فاذا كان نجيب محفوظ يميل الى اللغة الفضفاضة فان يوسف ادريس يميل الى لغة دقيقة تصويرية ويستخدم بعض الكلمات المشحونة والمواد التصويرية مثل الساعة في « الحرام » التي لا بد ان يدرك القارىء أهمية الساعة كمعيار للزمن وبالتالي ربط العبارات والساعات التي تشير الى الزمن .

ثم ظهرت بعد ذلك روايات حاولت تصوير الصراع بين الماضي والحاضر وأثر التغيير الاجتماعي على الانسان العربي وأثر وجود اسرائيل على الشخصية والثقافة العربية ، ومن هذه الروايات « قنديل أم هاشم » ليحيى حقي و « موسم الهجرة الى الشمال » التي أصدرها الطيب صالح في عام ١٩٦٦ الموافق ١٣٨٦هـ وهما تصوران الصراع الذي يحس به الطلبة الذين يقضون

فترة من حياتهم في البلدان الأوروبية ويصعب عليهم التكيف مع طبيعة مجتمعاتهم العربية عندما يعودون اليها نظراً للبعد والغربة الثقافية والحضارية التي يحيون بها ، وكذلك رواية « صراخ في ليل طويل » التي نشرها جبرا ابراهيم جبرا في بغداد عام ١٩٥٥ الموافق ١٣٨٥هـ ورواية « السفينة » التي نشرها الكاتب في عام ١٩٧٠ الموافق ١٣٩٠هـ ورواية « عائد الى حيفا » لغسان كنفاني ورواية « رجال في الشمس » لنفس المؤلف ورواية « الآلهة الممسوخة » لليلى البعلبكي في عام ١٩٦٠ الموافق ١٣٨٠ هـ .

أما فيما يتعلق بالشعر فنظراً لأن تاريخ الشعر العربي عريق منذ أقدم العصور فان الحركة الشعرية في العصر الحديث بدأت قوية وظهر شعراء في بداية هذا القرن اضافوا الى تراث العرب الشعري الشيء الكثير . فقد ظهر محمود سامي البارودي متأثراً بالشعر العربي القديم ولقد كان كلاسيكياً في لغته وحتى في الصور الشعرية التي استخدمها ، أما اسماعيل صبري فلقد عكس في شعره ادراكه للعلوم الغربية والصراع بين الفكرة المتطورة والفكرة الثابتة المحافظة . ونجد كذلك شوقي وحافظ والزهاوي يميلون الى الرصانة في الأسلوب والصور الشعرية القديمة اما من ناحية الموضوع فلقد ناقشوا اموراً سياسية عصرية وحاولوا صياغة المواضيع الجديدة التي اقتضاها العصر ولكن في شكل شعري قديم .

المدرسة التي جددت في مضمون الشعر العربي في العصر الحديث هي مدرسة المهجر ، فنجد الرابطة القلمية في الشمال مثل جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه وايليا أبو ماضي والياس فرحات في امريكا الجنوبية يميلون الى استخدام اللغة السمحة الدارجة وأبدعوا صوراً شعرية جديدة بالاضافة الى معالجة المواضيع الشعرية القديمة مثل التغني بالطبيعة والتأمل الفلسفي ويتم ذلك بطرق شعرية جديدة ، ولقد استفاد اصحاب هذه المدرسة في المناهج الشعرية الجديدة من الثقافة الغربية التي ربوا ونشأوا في أحضانها ومع ذلك لم يتركوا اصلهم وتراثهم العربي . لقد أجاد شعراء المهجر عدة لغات واطلعوا على عدة ثقافات فنجد ميخائيل نعيمة قد أجاد الروسية والفرنسية بالاضافة للانجليزية ، كذلك الصور التي تميز بها شعر ونثر جبران تشير الى انه كان متأثراً بالشاعر الانجليزي بليك .

ان لشعراء المهجر اثراً كبيراً في ظهور حركة الشعر الحر ونجد الناقد محمد مندور يعيد فكرة الشعر الحر الى فكرة الشعر المهموس ويعطي قصيدة « أخي » ليمخائيل نعيمة مثالاً للشعر المهموس .

غير ان جبران خليل جبران وهو أبرز أديب ، ظهر في مدرسة المهجر بأسلوب نثري لعله اقرب الى الشعر المنثور كما هو واضح في « الأجنحة المتكسرة » و « النبي » و « عرائس المروج » .لقد عالج في شعره او نثره أفكاراً رومانسية وميتافيزيقية ووجود الانسان على هذا الكون والتنافس البشري المتمثل في الحروب والخلافات المذهبية والانانية الفردية .

لقد تطرق الشعر العربي القديم لهذه الأفكار والمواضيع الأدبية ولكن أدباء المهجر وعلى رأسهم جبران طرقوا هذه المواضيع بأساليب أدبية حديثة ولغة تصويرية سهلة . ولقد كان لاساليب وأفكار المدرسة المهجرية بالاضافة الى دراسة العقاد وشكري والمازني للأدب الانجليزي المتمكنة اثر في ظهور المدرسة الرومانطيقية في الشعر العربي الحديث ، التي ظهر اثرها واضحاً في شعر جماعة ابولو التي تأسست في عام ١٩٣٢ الموافق ١٣٥١هـ تحت قيادة الشاعر المصري احمد زكي ابو شادي الذي هاجر في الخمسينات الى الولايات المتحدة الامريكية . أصدرت هذه الجماعة الأدبية مجلة « ابولو » التي صدر العدد الأول منها في عام ١٩٣٢ الموافق ١٣٥١هـ وصدر العدد الأخير منها في عام ١٩٣٤ الموافق ١٣٥٣هـ وقد صدر منها ما يقرب من خمسة وعشرين عدداً . وبالرغم من ان هذه المدرسة قدمت أغلب مدارس الشعر العالمية للعالم العربي مثل الرومانطيقية والرمزية والسريالية الا ان اغلب المنتمين الى هذه المدرسة من أمثال محمود عبد المعطي ، وابراهيم ناجي ، وعلي محمود طه ، ينتمون الى لمدرسة الرومانتيكية في الشعر العربي الحديث .

مع ظهور هذه المدرسة في مصر ظهر شعراء آخرون في البلاد العربية طرقوا نفس الأغراض الشعرية التي تناولها شعراء مدرسة ابولو مثل الشابي في تونس ، والياس أبو شبكة والأخطل الصغير « بشاره الخوري »

في لبنان ، والتيجاني في السودان ، وشعراء المملكة العربية السعودية حمزة شحاتة واحمد قنديل ومحمد حسن عواد وحسين سرحان ، بصورة عامة يميلون في شعرهم الى التأمل والتدبير والفكر الفلسفي والتغني بجمال الطبيعة والحياة ويستعملون كلمات سهلة دارجة ولكنها شاعرية موسيقية وهذا يثبت ويوضح تأثير مدرسة المهجر عليهم . اما اذا تحدثنا عنهم بصورة فردية خاصة فنجد محمد حسن عواد يميل الى الشعر الفلسفي واستفاد من الأساطير اليونانية ، والمعروف انه لخص الالياذة ، اما حمزة شحاتة فيميل الى العمق في التفكير وكلماته موسيقية رنانة ويميل كذلك الى الخيال ومناجاة الطبيعة ، واحمد قنديل يمتاز بلغته السهلة الدارجة ولكنها موسيقية وسريعة ، واستفاد من هذه المميزات من الترجمات العربية من شعر الشاعر الانجليزي الرومانطيقي لورد بايرون . ان الشعر السعودي من أجود الشعر العربي المعاصر وله مميزات متعددة ولكن للأسف الشديد ما زال مسجلاً في الداخل بقلة وندرة الدراسات عنه وأغلب الكتب الأخرى التي ظهرت في البلاد العربية مؤرخة للشعر العربي الحديث أهملت ذكر الحركة الشعرية المعاصرة في السعودية .

ظهرت بعد ذلك حركة الشعر الحر في الأدب العربي التي من روادها بدر شاكر السياب ، صلاح عبد الصبور ، واحمد عبد المعطي حجازي ، وعبدالوهاب البياتي ، ونازك الملائكة ، وعلى أحمد سعيد المشهور باسم ادونيس . لقد درج مؤرخو الأدب العربي الحديث على اعتبار قصيدة « الكوليرا » لنازك الملائكة وقصيدة بدر شاكر السياب « هل كان حباً » واللتين صدرتا في عام ١٩٤٧ الموافق ١٣٦٧هـ البداية الرسمية لظهور حركة الشعر الحر .

لقد درس هؤلاء الشعراء الشعر الأوروبي دراسة واعية متفحصة اما بالانجليزية كما فعل بدر شاكر السياب او بالفرنسية كما فعل ادونيس . وقد درس بدر شاكر السياب في قسم اللغة الانجليزية بكلية التربية في بغداد فترجم لعدة شعراء عالميين من أمثال اليوت وازرا بواند عدة قصائد الى اللغة العربية ونشرها في كتاب مختارات « من الشعر العالمي الحديث » والواقع ان تأثير أليوت على السياب واضح من ناحية استعمال الرمز واستعمال الفلكلور واستخدام الاسطورة . فكما ان « اليوت » استخدم هذه الأساليب الأدبية في قصيدته « الأرض الموات » واستخدم كلمات أجنبية وأساطير شرقية وخاصة أساطير الخصب والنمو ، فالمطر رمز للبعث والاحياء في قصيدته « انشودة المطر » . و« اليوت » استفاد من كتاب « النص الأدبي » لجيمز فريزر ، والسياب استقى من نفس المصدر وخاصة بعد ان ترجم الجزء الأول منه الى العربية جبرا ابراهيم جبرا وصلاح عبد الصبور استفاد في منهجه التاريخي من هؤلاء الشعراء باستخدام الشخصية التاريخية لكي تعبر عن فكرة أو مبدأ مثل ما عمل في استخدام شخصية الحلاج لكي تعبر عن أزمة الفكر العربي المعاصر . و اشار صلاح عبد الصبور الى اثر « اليوت » عليه عندما صرح في كتابه « حياتي في الشعر » بقوله « كانت معرفتي باليوت حتى ذلك الوقت لا تعدو قراءتي لبعض قصائده مثل « الأرض الخراب » و « أغنيـــة حب ج . الفريد بدوفروك » التي احببتها وما زلت احبها كاحدى معلقات عصرنا » ، ويقول في موضع آخر « حين توقفت عند الشاعر « ت . س . اليوت » في مطلع الشباب لم تستوقفني افكاره أول الأمر بقدر ما استوقفتني جسارته اللغوية » كذلك استخدم عبد الوهاب البياتي بعض الكلمات والتوريات التي تشير الى افكار انسانية أو سياسية أو تاريخية وقد استفاد من هذه العناصر الأدبية من ت . س . اليوت . اما بالنسبة للحركة النقدية ، هناك ثلاث مدارس نقدية استفادت من النقد الغربي وأثرت في الفكر العربي الحديث ، وهذه المدارس هي مدرسة الديوان ومدرسة طه حسين ومدرسة محمد مندور .

مدرسة الديوان تمثل الأثر الانجليزي في النقد العربي الحديث ولقد سميت بهذا الاسم لانها اصدرت كتاب الديوان الذي ظهر في ١٩٢١ الموافق ١٣٤٠هـ وقد كان من المخطط لهذا الكتاب ان يظهر في عشرة أجزاء ولكن لم يظهر منه الا جزءان ، مع أن عبد الرحمن شكري له نظرات نقدية في تعريف دور الشعر في الحياة في المقدمات التي كتبها لدواوينه الا ان أبرز ناقد ظهر في هذه المجموعة هو عباس محمود العقاد . والواقع ان نظرة للمقالات التي كتبها العقاد بين ١٩٢٣ وعام ١٩٣٠ والتي جمعت ونشرت فيما بعد في كتبه

مثل « مراجعات في الأدب والفنون » و « مطالعات في الكتب والحياة » و « بين الكتب والناس » ، تبين الأثر الواضح الذي تركته النظريات النقدية والفلسفية الانجليزية والالمانية ، على فكره ، فقد اهتم العقاد بالابداع وتركيب العقل الانساني وكيف يسهم الانسان في تطور الفن والفلسفة ، وله نظرية شاملة عن النفس الانسانية ويريد ان يفسر الانسان عن طريق الانتاج الفكري وخاصة الأدب والفلسفة والتاريخ . ويهتم في نقده بالتحليل النظري المبني على تحليل نظرية الكاتب او البطل كما هو واضح من دراسته عن المتنبي والمعري وفي كتب العبقريات . لقد درس العقاد كتب « كلوريدج وهازلت » في النقد الانجليزي واستفاد من تعريفهما للخيال والوهم ودرس كتب « كانت » في الفلسفة الألمانية وحاول ان يستفيد من تعريفه للجمال ونظرية علم الجمال ودرس ما كتبه « فرويد » وطبق منهجه في التحليل النفسي في تحليله للشخصيات التاريخية من العبقريات ودراسته للمتنبي ودراسته لابن الرومي . ان المعايير التي وضعها العقاد للشعر الممتاز تتلخص في النقاط التالية :

* شعر الشاعر يميز شخصيته .
* الشعر تعبير صادق عن الشعور والأصالة الشعرية .
* الشاعر انسان يمتاز برهافة الحس وسعة الادراك والشعور الفياض .
* الثورة على التقاليد بالاضافة الى التجديد والابداع .
* الطبيعة كائن حي .
* الشعر قوة تكشف المجهول وسر الحياة .
* الشعر تعبير انسيابي غير متكلف .
* الوحدة العضوية للقصيدة وعنصر الربط بين أجزائها من ناحية التعبير والمعنى ولذلك فهو يعتقد ان الشعاع ينمو مثلما تنمو الأشجار في الورق .

هذه الأفكار أغلبها نقلت من كتاب المدرسة الرومانتيكية وهي موجودة عند « وليم بليك » و « ووردز وورث » و « كلوريدج » و « شيلي » و « كيتس » و « بايرون » وعند فلاسفة الجمال في المانيا .

أما الدكتور طه حسين فيمثل المدرسة الفرنسية ويمثل النقد الاجتماعي والتاريخي . فالدراسة التي قدمها الى الجامعة المصرية في عام ١٩١٤ عن المعري بعنوان « تجديد ذكرى أبي العلاء » ظهر فيها تأثير الناقد الفرنسي تين وخاصة معادلته عن الجنس والبيئة والزمن وأثر هذه العوامل على الأدب . وبعد أن سافر طه حسين الى فرنسا ومكث هناك من عام ١٩١٥ الموافق ١٣٣٤هـ الى عام ١٩١٩ الموافق ١٣٣٨هـ حيث درس في جامعة السربون واختلط ببعض النقاد الذين كان لهم الفضل في تطوير نظريات النقد الأدبي والعلوم الانسانية مثل استاذه جوستاف لانسون ، ثم لما عاد الى مصر وأصدر كتاب « في الشعر الجاهلي » الذي صدر في عام ١٩٢٦ الموافق ١٣٤٥هـ ثم صدر في طبعة أخرى منقحة تحت عنوان « في الأدب الجاهلي » وفي سلسلة المقالات التي جمعت فيما بعد تحت عنوان « حديث الأربعاء » نراه يناقش نظريات سانت بيف الأدبية ونظريات أوجست كونت الاجتماعية وغيرهما من العلماء الغربيين في تلك الفترة . مع ان الدكتور طه حسين يميل في اغلب دراساته للشعراء الامويين والعباسيين وشعراء العصر الحديث من أمثال شوقي وحافظ الا انه استفاد كذلك من نهج الشك ومنهاج ديكارت في دراسته للشعر الجاهلي ومنهج الدراسة الفنية التي تعتمد على تحليل النصوص الأدبية تحليلاً فنياً في كتابه عن المتنبي .

أما محمد مندور الذي كان تلميذاً لطه حسين وأقام في فرنسا ما يقرب من تسع سنوات حتى فترة الحرب العالمية الثانية ،فهو أكثر علمية وموضوعية من العقاد وطه حسين وأدق في منهجه لنظريات النقد الغربية ، واثناء وجوده في فرنسا تعمق في دراسة الآداب الأوروبية وخاصة المسرحية والشعر .

لقد تأثر مندور كثيراً بـ « جوستاف لانسون » الذي ترجم مقالاً له بعنوان « منهج البحث في تاريخ الآداب » ونشره كملحق لكتابه « النقد المنهجي عند العرب » وتأثر كذلك بـ «جورج» و «دهميل» و «سانت بيف» ، وتأثر كذلك بـ «انطوان مابيه» الذي ترجم مقاله «علم اللسان» الى اللغة العربية، والى هذا الناقد يعزى اهتمام مندور بلغة النص الأدبي ودراسته المقننة لموسيقى الشعر . لقد استوعب مندور هذه النظريات في اطار الثقافة الغربية والتراث الأوروبي وحاول تطبيق هذه النظريات على التراث العربي بحذر شديد بسبب انه يدرك الفارق الحضاري بين الفكر الغربي والفكر العربي .

ويمكن تقسيم حياة مندور الأدبية الى ثلاثة اطوار :

* المرحلة الأولى حيث كان يهتم بمعالم الجمال ومصدرها في النصوص الأدبية .

* المرحلة الثانية حيث كان يحلل النصوص الأدبية تحليلاً موضوعياً مبتعداً بقدر المستطاع عن اصدار أي حكم ، ودوره في هذه المرحلة تحليل النصوص الأدبية ودراسة تركيبها اللغوي وعلاقة ذلك التركيب بالمعالم الجمالية للنص .

* المرحلة الثالثة حيث أخذ يدعو الى الواقعية والتزام النصوص الأدبية بأهداف سياسية واجتماعية .

نقاط التلاقي والاختلاف بين الأدب العربي والغربي :

استناداً الى النتائج النقدية التي يمكن استخلاصها من سيرة التطور الأدبي والفكري للثقافتين العربية والغربية يمكننا تحديد نقاط التلاقي والاختلاف بينهما في الأمور التالية :

— ان التراث الغربي الحديث مبني على انقاض التراث الغربي القديم واستفاد من الأساطير اليونانية في تشخيص أزمة الانسان المعاصر وأبناء القرن العشرين أعادوا بلورة الأساطير اليونانية والتراث الروماني بحيث يتناسب مع عقلية وجوهر القرن العشرين ولذلك فان بناء الأدب الأوربي الحديث نبع من كون أنه استفاد من تاريخه الطويل وتراثه القديم .

— ان الأنواع الأدبية العربية المعاصرة التي استفادت من التراث العربي القديم مثل الشعر العربي الحديث نجحت في تشخيص أزمة الانسان المعاصر وجسدت أزمة الانسان العربي في القرن العشرين . والشعر له تراث طويل وتجارب متعددة في الأدب العربي ونظراً لأن شعراء العصر الحديث استفادوا من تلك التجارب فان الشعر العربي الحديث ظهر غنياً وقوياً في شكله ومضمونه .

أما بالنسبة للقصة العربية فان القصة العربية الحديثة ولدت كتقليد لفن القصة في أوربا وحاولت القصة العربية أن تقلد القصة الغربية بدون احساس تام بمشاكل الانسان العربي وطبيعة تكوينه الثقافية ، لقد عجزت القصة العربية عن سبر غور الانسان العربي ما عدا بعض المحاولات البسيطة من جانب نجيب محفوظ وخاصة في الثلاثية والطيب صالح ويحيى حقي ، بسبب انها ما زالت تجري وراء تقليد المدارس الأوروبية بدون تصور تام لأزمة الحضارة العربية وادراك نقاط الخلاف الجوهرية بين الحضارة العربية والحضارة الغربية .

فالمدارس الأدبية ليست موضة وانما هي تعبير واحساس عن مرحلة حضارية تمر بها الحضارة في فترة معينة من تاريخها والأدب بصورة عامة والقصة بصورة خاصة المرآة الوحيدة التي تعكس الملامح المميزة لهذه الحضارة .

ولقد نجح نجيب محفوظ في تقليد المدرسة الواقعية التي انتهجها في الثلاثية بسبب أن أزمة التطور الحضاري والتغيير في البلاد العربية التي عكستها الثلاثية يمكن أن تقارن الى حد ما مع أزمة التطور الحضاري والتغيير الذي حدث في أوربا في القرن التاسع عشر .

— ان مجال المقارنة موجود ومفتوح بين الأدب الأوربي والأدب العربي الحديث ، خاصة اذا أخذنا في الاعتبار منهج المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن التي تؤمن بعقد المقارنات وشرح أوجه التشابه والفرق بين الآداب العالمية المختلفة ، وتعتبر دراسة الأدب العالمي جزء من الأدب المقارن بعكس النظرة الضيقة للمدرسة الفرنسية التي تشترط تأثير وتفاعل مباشر بين أي أدبين نود أن نقارن بينهما .

من خلال هذا العرض لمحت الى أنه يمكن عقد مقارنة بين الشعر العربي والشعر الغربي والقصة العربية والقصة الغربية وخاصة في بعض السمات المشتركة وطرق معالجتها حيث ان مكتبة الأدب المقارن عامرة بالكتب التي توضح العلاقة بين الأدب العربي والأدب الغربي ويشمل ذلك الفكر بصورة عامة والشعر والقصة .

هذه لمحة سريعة عن تطور الثقافتين الغربية والعربية منذ القرن الرابع عشر الهجري والعلاقة بينهما ، وتبين لنا الخطوط الواضحة التي لا بد أن يلتزمها الدارسون والمؤلفون والباحثون لصيانة الجوهر الاسلامي والعربي في الثقافة العربية ، ولمعرفة ملامحها المميزة للثقافة العربية الاسلامية □

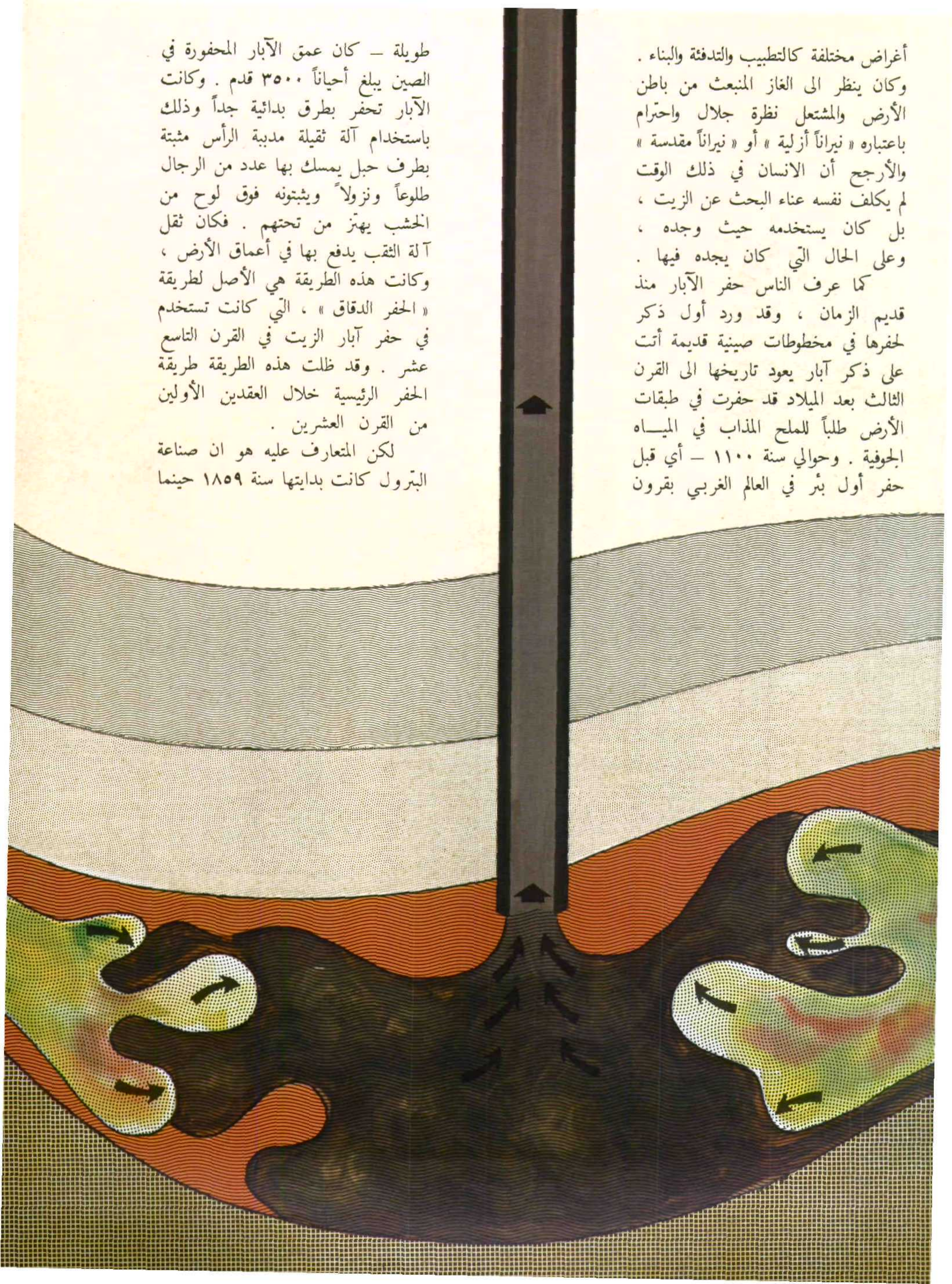
د. عبد الوهاب علي الحكمي / جدة

استخلاص المزيد من الزيت الخام من المكامن



البحث عن مصادر جديدة للزيت واستنباط وسائل تقنية حديثة وتسخيرها لاستخلاص المزيد من الزيت الخام المتجمع في التكوينات الجيولوجية الحاملة للزيت في الحقول المنتجة حالياً ، هي الشغل الشاغل لشركات الزيت العاملة في مختلف أنحاء العالم بهدف تأمين الاحتياجات المتزايدة من الهيدروكربونات ، عصب الصناعة الحديثة ، وشريان الحياة في عصرنا الحالي .

اذا ما ألقينا نظرة تاريخية على الزيت الخام عرفنا ان الانسان قد عرف الزيت والبتومين والأسفلت منذ قديم الزمان ، فكان يستخدم رواسبها السطحية أو ما ينزّ منها من خلال شقوق الأرض في



أغراض مختلفة كالتطبيب والتدفئة والبناء . وكان ينظر الى الغاز المنبعث من باطن الأرض والمشتعل نظرة جلال واحترام باعتباره « نيراناً أزلية » أو « نيراناً مقدسة » والأرجح أن الانسان في ذلك الوقت لم يكلف نفسه عناء البحث عن الزيت ، بل كان يستخدمه حيث وجده ، وعلى الحال التي كان يجده فيها .

كما عرف الناس حفر الآبار منذ قديم الزمان ، وقد ورد أول ذكر لحفرها في مخطوطات صينية قديمة أتت على ذكر آبار يعود تاريخها الى القرن الثالث بعد الميلاد قد حفرت في طبقات الأرض طلباً للملح المذاب في المياه الجوفية . وحوالي سنة ١١٠٠ – أي قبل حفر أول بئر في العالم الغربي بقرون طويلة – كان عمق الآبار المحفورة في الصين يبلغ أحياناً ٣٥٠٠ قدم . وكانت الآبار تحفر بطرق بدائية جداً وذلك باستخدام آلة ثقيلة مدببة الرأس مثبتة بطرف حبل يمسك بها عدد من الرجال طلوعاً ونزولاً ويثبتونه فوق لوح من الخشب يهتز من تحتهم . فكان ثقل آلة الثقب يدفع بها في أعماق الأرض ، وكانت هذه الطريقة هي الأصل لطريقة « الحفر الدقاق » ، التي كانت تستخدم في حفر آبار الزيت في القرن التاسع عشر . وقد ظلت هذه الطريقة طريقة الحفر الرئيسية خلال العقدين الأولين من القرن العشرين .

لكن المتعارف عليه هو ان صناعة البترول كانت بدايتها سنة ١٨٥٩ حينما

قام الكولونيل «أدوين دريك» بحفر أول بئر للبحث عن الزيت بالذات قرب بلدة تيتوسفيل في ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية . وقد منح أدوين دريك في عام ١٨٥٩ فرصة فريدة من نوعها حيث عهدت اليه مهمة حفر أول بئر في الولايات المتحدة بهدف البحث عن الزيت بالذات . وقد أقام « دريك » والفريق العامل معه برجاً للحفر على ضفاف خليج أويل كريك قرب بلدة تيتوسفيل بولاية بنسلفانيا . واشتمل البرج آنذاك على آلة بخارية قديمة ، ومثقب من الحديد مربوط الى حبل مشدود الى رافعة .

وقد سارت أعمال الحفر على خير ما يرام ، الى أن اصطدم مثقب الحفر بصخرة على عمق ٣٠ قدماً . وبسبب ذلك تباطأت عمليات الحفر الى ثلاث أقدام في اليوم ، مما أدى الى وهن في عزيمة المموليين الذين تعهدوا بتمويل مشروع حفر البئر واعتبر المشروع فاشلا . غير أن ذلك الفشل لم يثن دريك عن المضي في عمليات الحفر . وفي شهر أغسطس عام ١٨٥٩ ، ولدى انتشال العمال مثقب الحفر من البئر على عمق ٦٩½ قدم ، أخذ سائل أخضر داكن يرتفع من البئر حتى وصل الى مسافة بضع أقدام من السطح . وبذلك عثر الحفارون على الزيت ، وكانت تلك الفترة هي البداية الحقيقية لصناعة الزيت في الولايات المتحدة .

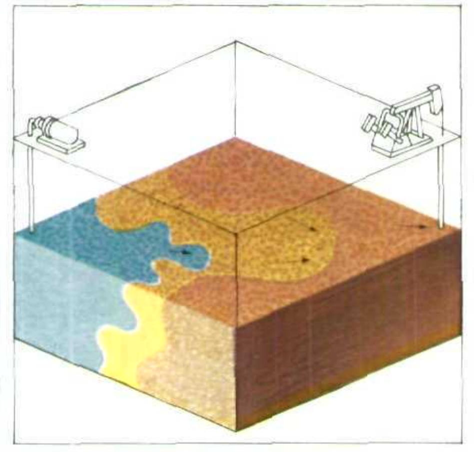
وقد تم منذ عام ١٨٥٩ اكتشاف حوالي ٤٥٤ بليون برميل من الزيت الخام في الولايات المتحدة على اليابسة وفي المناطق المغمورة . ويقدر بأن أكثر من ربع هذه الكمية من الزيت قد استغل وأبقي على حوالي ٣٣٦ بليون برميل في حقول الزيت المعروفة . وفي الوقت نفسه . فقد أمكن للصناعة البترولية في الولايات المتحدة استخراج ٢٨ بليون برميل فقط من الزيت الخام وذلك باستخدام وسائل الانتـاج التقليدية .

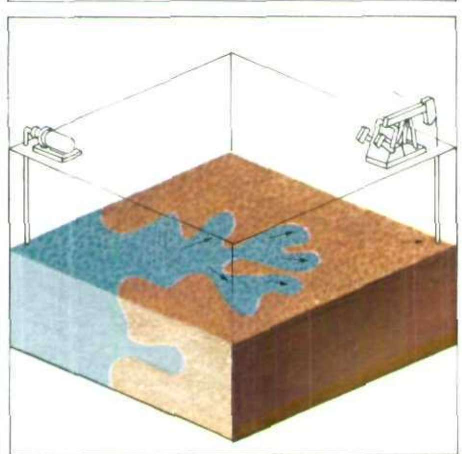
فما هي هذه الوسائل التقليدية ؟

في المراحل المبكرة من الانتاج في حقل للزيت ، فان ضغط الماء أو الغاز الطبيعي يمكّن الزيت من التدفق في كل بئر . وعندما يصبح الضغط الطبيعي في المكمن غير كاف ، أو يكون الضغط قـد تنـاقص بسبب الانتاج ، فان عملية استخراج الزيت تتم عن طريق استخدام وسيلة فنية ثانوية . ولعل أكثر الوسائل الفنية الثانوية استخداماً في استخلاص الزيت هي حقن الماء . ويساعد الماء الذي يجري حقنه في الأرض عن طريق حفر آبار منفردة ، يساعد في المحافظة على الضغط داخل المكامن ، ومن ثم على رفع مستوى الانتاج . وقد حققت هذه الطريقة نجاحاً كبيراً حتى ان ٤٠٪ من اجمالي كميات الزيت المنتجة محليا اليوم تتم بمساعدة عملية حقن الماء .

ومن ميزات الوسائل التقنية الرئيسية والثانوية أنها تمكن منتجي الزيت من استخراج ٣٢٪ من معدل كميات الزيت الخام الكافية في الحقل .

منذ فترة وجيزة نسبياً ، كانت هذه الكميات الهائلة من الزيت الخام تكاد تكون في حكم المفقودة كلياً ، لأن استخراجها لم يكن عملاً اقتصادياً بالنسبة للاسعار السائدة . وأيضاً بالنسبة للتقنية الموجودة ضمن نطاق صناعة الزيت . لكن حدث هناك أمران جعلا بالامكان الوصول الى هذه المصادر الغنية وهما الارتفاع الكبير في أسعار الزيت عالمياً ، والتطورات التقنية التي طرأت على أساليب المرحلة الثالثة في عمليات استخلاص الزيت الخام .





عمليـة حقن البوليمر تساعد عملية حقن المـاء التقليدية وذلك بجعل الماء أكثر كثافة لإعطائه قوة دفع أكبر مما يؤدي الى تدفق الزيت الخام عبر التكوينات الصخرية باتجاه الآبار المنتجة ومن ثم الى سطح الأرض .

وجاء في أحد التقارير ، أن أحدا لا يتوقع أن يكون بالامكان استخلاص النسبة المتبقية ومقدارها ٦٨ في المئة بواسطة الأساليب المستخدمة حالياً .

ان محاولة الحصول على المزيد من الزيت من باطن الأرض تنحصر في استخدام أساليب تقنية ثلاثة هي : الطرق الحرارية ، واستخدام السوائل المذابة ، والمواد الكيميائية .

الاستخلاص الحراري

تعتبر أساليب الاستخلاص الحرارية في الوقت الحاضر ، أسهل الأساليب وأكثرها استخداماً في استخلاص الزيت المتخلف في المكامن ، وتستخدم هذه الأساليب في العادة بالنسبة للزيت الثقيل الذي يجد صعوبة في التدفق من تلقاء ذاته في الظروف الحرارية العادية . وتعمل أساليب الاستخلاص الحراري على اضافة المزيد من الحرارة في المكامن الضحلة للاقلال من كثافة الزيت أو تبخيره . ان حقن البخار ، والاحتراق الموضعي ، هما من الأساليب التقنية الأساسية في عملية الاستخلاص الحرارية . ففي الطريقة الأولى ، يتم حقن البخار والماء الساخن داخل مكمن للزيت مما يجعل الزيت أقل كثافة ، وأكثر حركة . وتتم عملية الحقن هذه تحت تأثير الضغط الذي يساعد بدوره على دفع الزيت الى سطح الأرض . ويرجع الفضل في انتاج ٨٠٪ من الزيت بالطرق الدقيقة في الولايات المتحدة الى حقن البخار . وتقدر هذه الكمية بحوالي ٣٠٨ آلاف برميل من الزيت الخام يومياً ، وهي تعتبر قليلة اذا ما قورنت بالانتاج المحلي الذي يبلغ ٨,٥ ملايين برميل في اليوم . ومن ميزات عملية حقن البخار أنها تساعد على ضخ كمية اضافية من الزيت تتراوح نسبتها ما بين ٣٠ و ٥٥٪ من مكـــامن الزيت . وبواسطة الاحتراق الموضعي ، يتم توليد حرارة في المكمن وذلك عن طريق حقن الهواء وحرق جزء من الزيت الخام في باطن الأرض . ويعزى لهذه الطريقة استخراج ١٢٠٠٠ برميل من الزيت فقط في اليوم .

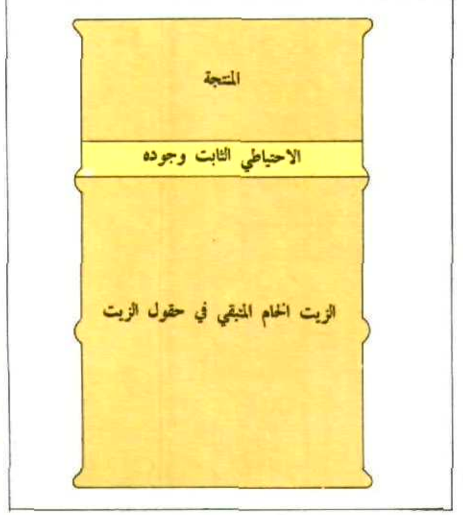
ان وسائل الاستخلاص الحراري لا يمكن استخدامها في جميع الظروف ، فهي تستخدم عادة في أعماق تقل عن ٣٥٠٠ قدم ، وفي التكوينات الأرضية التي لا يقل سمكها عن ٣٥ قدماً .

استخلاص الزيت بالمواد القابلة للمزج

قامت بعض شركات الزيت العالمية بتجربة عدد من الغازات الخاصة في محاولاتها لاستخلاص المزيد من الزيت من الحقول الموجودة حالياً . وقد أثبت غاز ثاني أكسيد الكربون بأنه أفضل الغازات من الناحية الاقتصادية وأكثرها فعالية . فعندما يحقن هذا الغاز تحت ضغط عال داخل المكمن ، فانه يتحول الى سائل كثيف يذوب في الزيت فينساب هذا الأخير بسهولة أكبر باتجاه الآبار المنتجة . ومن جهة أخرى فإنه يتم عن طريق استخدام غاز ثاني أكسيد الكربون انتاج ٦٪ من الزيت المتخلف في المكامن في الولايات المتحدة ، أي حوالي ٢٢ ألف برميل من الزيت في اليوم . لكن التكاليف المترتبة على استخدام هذا الغاز قد تفوق التكاليف المترتبة على استخدام الأسلوب الحراري في استخلاص الزيت .

برامج استخلاص الزيت المتخلف في المكامن

لا يزال عدد كبير من مهندسي البترول والعلماء ورجال الأبحاث العاملين في مختلف شركات الزيت منذ أكثر من عشرين عاماً يعملون على تطبيق برامج معينة في محاولة لاستخلاص الزيت المتخلف في المكامن . وهناك عدد من المشاريع المتشعبة الأطراف قيد التنفيذ في مواقع الحقول وفي المختبرات في الولايات المتحدة وكندا وبلدان اخرى . وقد أصبحت بعض الشركات العالمية رائدة في استخلاص الزيت المتخلف في المكامن



رسم بيـــاني يوضح كميات الزيت الخـــام المنتجة ، وكميات الاحتياطي الثابت وجوده وكمية الزيت الخام المتبقية في حقول الزيت المعروفة في الولايات المتحدة الامريكيـــة وهي الكمية التي يسعى خبراء الزيت جاهدين لاستخلاصها من باطن الأرض .

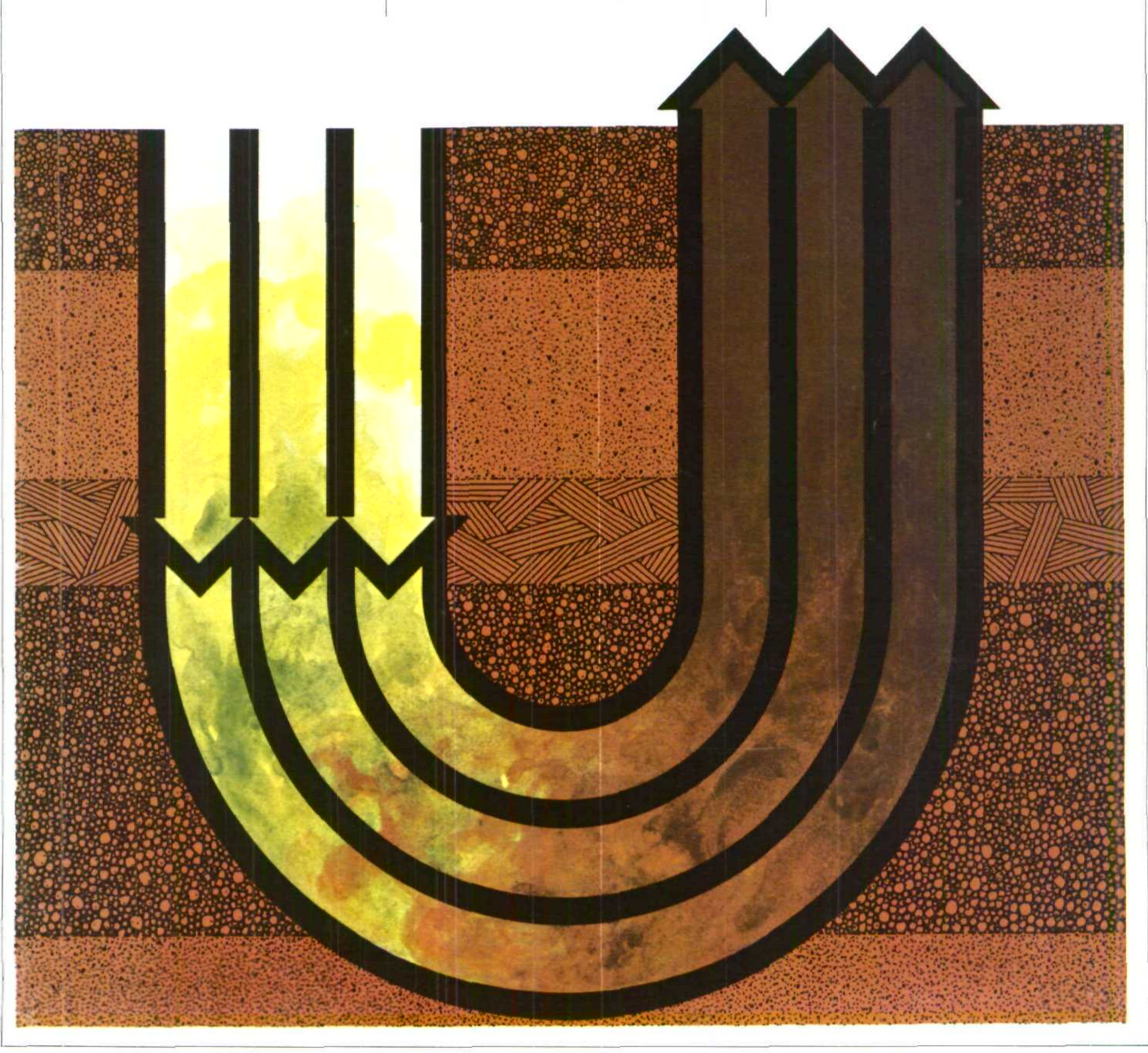
عن طريق استخدام البخار والدفع بالسوائل وهي أفضل الطرق المعروفة لاستخلاص الزيت حتى الآن . وعلى سبيل المثال فان انتاج شركة سوكال من الزيت الثقيل في كاليفورنيا قد بلغت ٦٥٠٠٠ برميل في اليوم منها ٤٥٠٠٠ برميل في اليوم يتم انتاجها عن طريق استخدام البخار . وتتوقع الشركة أن تتمكن ، عن طريق برامجها الخاصة باستخلاص الزيت المتبقي في المكامن ، من انتاج بليون برميل من الزيت تستخلصها من مصادر الزيت الثقيل في كاليفورنيا ، كما تتوقع أن تكون قادرة في النهاية على الوصول بانتاجها اليومي من هذه المصادر الى أكثر من ٥٠٠ ألف برميل من الزيت في اليوم الواحد . وتشكل هذه الكمية حوالي ٢٥٪ من الزيت الذي تستورده الولايات المتحدة من الشرق الأوسط . ومن ناحية أخرى ، يقدر مهندسو البترول كمية الزيت التي يمكن استخلاصها من المتخلف من الزيت الثقيل في كاليفورنيا بأكثر من ١٠

بلايين برميل . وهي تعادل تقريباً كمية الزيت الموجودة في حقل برودو العملاق في ألاسكا . كما ان استخدام طريقة حقن غاز ثاني أكسيد الكربون يضيف حوالي ٨٨ مليون برميل من الزيت يمكن استخلاصها من احتياطي الزيت في الحقول المنتجة .

هذا وسيظل العالم متعطشاً للمزيد من الزيت الخام بهدف المحافظة على المنجزات الهائلة التي تحققت في مختلف مجالات الحياة . ولا شك في أن بدائل الزيت التي يحاول العلماء التوصل اليها لتسخيرها لخدمة المدنية والأموال الطائلة التي تصرف في مجالات الأبحاث ، كل ذلك لن يكون البديل الأمثل للزيت ، ليس على المدى المنظور فحسب بل سيبقى الزيت الخام هو الأكثر طلباً والوقود الأفضل والأقل كلفة ، وسيصبح بالامكان عن طريق تطوير وسائل الاستخلاص الحديثة استخراج كميات اضافية هائلة من الزيت الخام كانت في حكم المفقودة وستسهم هذه الكميات الاضافية من الزيت الخام في المحافظة على الانجازات العلمية التي حققها العالم حتى الآن والاستمرار في توفير الرخاء والرفاهية للانسانية جمعاء □

يعقوب سلام – هيئة التحرير

عن مجلة « شفرون وورلد »



بناء التجمعات والأحياء السكنية

بقلم : المهندس حمزة شبلاق

مقدمة

مع ازدياد التقدم التكنولوجي واتساع قطاع الخدمات ، تزداد الهجرة السكانية من الأرياف الى المدن عاماً بعد عام ، بحيث باتت تشكل أزمة حقيقية متعددة الجوانب ، وخاصة في دول العالم النامية ومنها الدول العربية ، مما يجعل أزمة السكن داخل المدن تبدو معضلة لا حل لها .

لقد ازداد عدد سكان بعض المدن العربية وخاصة العواصم منها بصورة مذهلة في العقدين الأخيرين ، اذ تصل نسبة الزيادة السكانية فيها الى ١٨٪ سنوياً . وقد امتدت هذه المشكلة الى الخليج فشملت بعض عواصم ومدن المنطقة ، ففي الكويت تصل نسبة سكان العاصمة الى حوالي ٧٧,٢٪ من مجموع السكان ، وفي الدوحة الى حوالي ٧٢٪ ، وفي المنامة الى حوالي ٤٢٪ . وفي الدول العربية الأخرى تظل نسبة سكان المدن قياسا الى سكان الأرياف في ازدياد مستمر . ففي لبنان مثلا تصل النسبة الى ٥٥٪ ، وفي مصر ٤٥٪ ، وفي الأردن ٤٤٪ ، وفي تونس ٤٣٪ .

ان علاج النتائج المختلفة لهذا التمركز السكاني العفوي على المستويين الاقتصادي والاجتماعي لبلد ما يتطلب خطة عمل كاملة تقوم على أساس الدراسات المختصة والجادة لجوانب المشكلة . ومهما يكن من أمر ، فان الحلول المطروحة تنحصر في اطارين للعمل يكمل كل منهما الآخر .

* العمل على الحد من النزوح من الريف الى المدن وذلك باعداد الخطط الكفيلة بابقاء الأيدي العاملة في أماكن تواجدها وايجاد المسببات المقنعة للبقاء بما يكفل اشباع الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والبيولوجية للفرد .
* اجراء تخطيط لامتداد المدينة واتساعها على أسس مدروسة لاستيعاب أزمة المساكن القائمة ، واستقبال الأعداد الأخرى للوافدين من الأرياف الى المدن ضمن النتائج الموضوعة التي توصلت اليها الدراسات في اطار خطة العمل الكاملة .

وفي محاولة للحد من مشكلة النزوح ، أو إعداد المدينة لاستيعاب أعداد النازحين الجدد ، فان مجالات العمل أمام المعماريين ومخططي المدن ومهندسي الانشاء تبدو واحدة وهي :

- اعادة تنظيم المدينة أو بعض أقسامها بما يسمح باستيعاب أكبر .
- انشاء الأحياء السكنية الجديدة التي تكون بمثابة أطراف جديدة للمدينة ، والتي تدخل ضمن خطة تنظيم واعداد المدينة لاستيعاب عدد سكاني أكبر .

- اعداد وانشاء مناطق سكانية جديدة تمثل في حد ذاتها مدناً جديدة مستقلة للتجمع السكاني .

الهدف العام وأساليب الدراسة

ان الهدف العام الذي تسعى اليه دولة ما من تخطيط وانشاء الأحياء والمناطق السكنية الجديدة ، يتمثل كما أشرنا سابقاً في الحد من معدلات النزوح باتجاه المدينة ، واعداد مراكز تجمع جديدة متكاملة . وفي ضوء تحديد الهدف العام السابق يصبح من الممكن وضع الدراسات الضرورية التي تشمل ما يلي :

*** دراسة الموقع العام للمدينة الجديدة وعلاقته بالمكونات الأساسية من حوله وذلك من حيث العوامل العامة التالية :**

□ جيولوجية الموقع : وتتضمن معرفة الخصائص الجيولوجية للتربة وصلاحيتها للبناء .

□ جغرافية الموقع : وتعنى بدراسة المؤثرات المترولوجية ككمية الأمطار في العام ، ودرجة الحرارة القصوى والدنيا ، والرياح ، واتجاه الرياح ومواسمها . وتبدو هذه المؤثرات على درجة من الأهمية في المنطقة العربية حيث التباين واضح في درجة تأثيرها من منطقة الى أخرى . ويقع الكثيرون من المصممين المعماريين ومهندسي التخطيط في أخطاء جسيمة عندما يحاولون أحياناً كثيرة تكرار نمط معماري معين في مناطق مختلفة دون مراعاة لأهمية العامل المناخي المحلي . فهناك على سبيل المثال اختلاف واضح بين منطقة مثل الكويت بمناخها المحلي الحار جداً والمشبع بالرطوبة وبين منطقة أخرى كمدينة الرياض حيث المناخ فيها حار جداً ولكنه جاف الى حد كبير .

□ طوبوغرافية الموقع : ولهذا العامل تأثير واضح في توجيه الوحدات السكنية وأساليب تجميعها ، وهو لهذا على علاقة مباشرة بسابقه . كما أن علاقة المبنى أو مجموعة المباني عضوياً بأرض الموقع ، من حيث أسلوب تجميعها وتوجيهها ، تفرض بالنتيجة المظهر العضوي للمنطقة السكنية من الناحية البصرية بتأثيرها النفسي على السكان وعلاقاتهم الاجتماعية وحركتهم اليومية .

□ الميزات الهيدروليكية للموقع : أي تحديد مصادر المياه ، ان وجدت ، سواء فيما يتعلق بشبكة المياه العامة أو بالمياه الجوفية كالينابيع أو الأنهار أو حتى السيول الصغيرة . ان لدراسة الميزات الهيدروليكية للموقع أهمية قصوى في تحديد البنية الأساسية التي ستقوم عليها المنطقة السكنية المستقبلة .

□ الميزات البيئية : من حيث تلوث التربة نتيجة لوجود طبقة جيولوجية سلبية التأثير على مواد البناء وخاصة الأساسات ، كزيادة نسبة الأملاح مثلاً في غيرها من المؤثرات الضارة نتيجة لقرب الموقع من مصدر تدفق مياه المصانع . . . الى غير ذلك . وبالاضافة الى ذلك فانه يجب دراسة مصادر الثروة الغذائية المتوفرة سواء منها الزراعية أو الحيوانية في تلك المنطقة .

السكان

ان الغاية المنشودة من اقامة المناطق السكنية الجديدة ، قريبة كانت أو بعيدة عن المدينة الكبيرة ، تستلزم أن يحظى العامل الانساني بدراسة وافية على المستويين الاقتصادي والاجتماعي . أي القيام بدراسة احصائية من حيث المواليد والوفيات والصحة للسكان المفترض انتقالهم الى المنطقة السكنية المقترحة . وتشمل هذه الدراسة معلومات وافية عن نوعية عمل الأفراد ودخلهم السنوي . كما تشمل كذلك معرفة عدد أفراد الأسرة وأعمارهم ذكوراً أو أناثاً .

الوحدة السكنية وأساليب تجميعها

سواء كانت الوحدة السكنية المبنية شقة في بناية ذات أدوار ، أو كانت مبنى مستقلا على شكل منازل متصلة ببعضها أو منفصلة أو شبه منفصلة ، فان شكل الوحدة السكنية وحجم الفراغات الداخلية والخارجية لها كما تفرضه العوامل المذكورة السابقة فيما يخص دراسة الموقع والسكان . والملاحظ أن المنطقة العربية تعاني من تباين الأنماط المعمارية بشكل ملحوظ .

ومما لا شك فيه أن كثيراً من المشاريع السكنية التي نفذت ، وخاصة في الأعوام العشرة الأخيرة ، تفتقر الى عنصر الأصالة المعمارية النابعة من صميم المجتمع العربي . فأصالة المبنى هي استيفاؤه من ناحية وظيفية لمتطلبات قاطنيه الاجتماعية منها والبيولوجية .

ان العائلة القادمة من الريف الى المدينة والتي يربو عدد أفرادها على الثمانية أشخاص مثلاً ، لا يمكن

بأي حال أن تشعر باستقرار وراحة حين يخصص لها مسكن في الطابق العاشر من بناية كبيرة . في الوقت الذي تنسلخ فيه مرة واحدة عن هدوء الريف وفساحته وخصوصية الدار فيه وحرمتها ، هذا الى جانب حرمانها من نشاطاتها الفلاحية . وفي العالم العربي أمثلة كثيرة على مثل هذه الأخطاء ، التي تحمل معها طفرات اجتماعية ونفسية غير محتملة .

ان ملاحظتنا هذه لا تعني حرمان الانسان من المسكن الحديث ، وتبديل طرق معيشته وتطويرها بما يتلاءم وتقدم الانسان . بل ان المسكن هو في الأساس تكوين وظيفي متناسق لاستيفاء احتياجات الانسان الاساسية مما يؤمن له استقراراً نفسياً واجتماعياً . وحتى في المباني الخاصة (الفيلا مثلا) ، فان مهمة المهندس المعماري تظل هي ذاتها – خلق التكوين الوظيفي المتناسق – ذلك أن تشكيل الواجهات وزخرفتها بالمواد المختلفة ومحاولة اعطائها طابع الحداثة والتجديد لا يمكن أن تخرج عن كونها جمالية مزورة تنفضح بمجرد أن يبدأ ساكنو الفيلا بممارسة نشاطاتهم اليومية فيها . فجمالية الفيلا اذن هي افراز حتمي للتكوينات الوظيفية المتناسقة والمنسجمة . واللعبة المعمارية هي في تشكيل الفراغات الوظيفية ودراستها للوصول الى التكوين المعماري الأكثر انسجاماً فيما بينها . وهكذا تصبح المادة البنائية والعناصر الزخرفية شيئاً متعاملاً مع التكوين المعماري للفيلا لا ملصقاً به .

أما تجميع الوحدات السكنية فتحدد أسلوبه عوامل كثيرة أهمها :

* الموقع من حيث مناخه ، جيولوجيته ، وطوبوغرافيته وما فيها من مؤثرات بيئية .
* غلاء الأرض في المنطقة المعنية أو رخصها بما يحدد الى درجة كبيرة شكل الامتداد المعماري أفقيا أو عمودياً .
* التكوين العام للوحدة السكنية وكذلك مواد البناء وطرق الانشاء .
* العامل الانساني الذي تراعى فيه المتطلبات الاجتماعية واليومية للساكنين .

وطريقة التجميع هي التي تشكل في النهاية التكوين البصري العام للمنطقة السكنية وتحدد بذلك الفراغات العامة وأماكن لعب الأطفال ومرافق الخدمات العامة .. الخ .

المواد البنائية وطريقة الانشاء

تختلف مواد البناء ووفرتها في العالم العربي من منطقة الى اخرى . الا أن هناك نقصاً عاماً في الأخشاب بشكل ملحوظ . كما أن انتاج حديد التسليح والأسمنت واستيرادهما يعاني مشاكل كثيرة .

ولقد أخذت بعض الدول العربية بأسلوب تصنيع المواد البنائية . كما تقدمت صناعة الطابوق بأنواعه وأجزاء المباني الجاهزة ، وازدادت الأيدي العاملة الماهرة . ومن المنتظر ان يتضاعف انتاج المواد البنائية وأن تتقدم أساليب التصنيع الجاهز للعناصر الانشائية في السنوات القادمة تبعاً لمتطلبات الاستهلاك الاسكاني المتزايد وسرعة تنفيذ المشاريع .

ان التقدم التكنولوجي العالمي في مضمار مواد البناء وطرق الانشاء لا يعني بالضرورة استيرادها من الخارج جاهزة على الدوام ، بقدر ما يفترض خلق الأرضية التكنولوجية القادرة على تطوير أساليب الانشاء ومعالجة المواد البنائية على المستوى المحلي بشكل اقتصادي فعال . وهذا في حد ذاته يحتاج الى وضع خطة عامة تأخذ في اعتبارها امكانية استغلال المواد المحلية المتوفرة الى حدودها القصوى ، ودراسة كميات الانتاج اللازمة ، ومصادرها وخطوط توزيعها ، ومن ثم ايجاد قياسات موحدة لأجزاء المباني تسمح بتشكيل التكوينات المعمارية وتنويعها .

وفي بناء المناطق السكنية ، لذوي الدخل المحدود ، يجهد المصممون في استنباط الوسائل الكفيلة انشائياً بتسهيل عملية البناء وسرعة تنفيذ المشروع ، مع ضمان حماية المبنى من المؤثرات المناخية القاسية .

وفي المناطق الحارة الجافة كما في مدينة الرياض مثلاً ، فان وسائل الانشاء تستدعي حماية المنزل من الشعاع الشمسي المباشر أو المرتد وخاصة في أوقات الظهيرة . وهكذا يتجه المصممون الى تكثيف الحوائط الخارجية والاقلال من الفتحات ، وذلك لايجاد محيط ظليل قدر الامكان .

ومع تقدم تكنولوجية البناء فان الأساليب تختلف مع اختلاف المادة الانشائية وطرق معاملتها ، ويظهر هذا في استعمال مانعات الشمس مثلاً ، وفي توجيه فتحات المبنى وتظليلها □

حمزة شبلاق – بيروت

لقـــاء مـــع :

د. عبدالله حسن مصري

للدكتور مصري جهود نشطة في تنظيم إدارة الآثار وتنسيق محتوياتها وموضوعاتها والتخطيط لها.. ولاشك أن فيما تهيأ له من علم وخبرة وتجارب في هذا المجال قد وفر له امكانات جيدة استطاع من خلالها أن يخطو بإدارة الآثار خطوات حثيثة للنهوض بها.

وفي حوارنا مع د. عبدالله حسن مصري في هذا الشأن تبرز نشاطات إدارة الآثار والمتاحف وأهميتها كما نتعرف من خلاله إلى بعض اهتماماته واسهاماته بالنسبة إلى تاريخ وحياة الانسان على أرض شبه الجزيرة العربية عبر الأزمان الموغلة في القدم.



■ لا شك ان الدراسة الجامعية تمثل فترة انتقال مميزة في حياة الطالب . هل شعرت بفجوة في أسلوب الحياة الدراسية في المرحلة الجامعية ؟ وهل واجهت صعوبات معينة استطعت التغلب عليها ؟ أم أن التكيف مع الحياة الجامعية كان سهلاً ؟ وهل كان هناك شخصيات علمية كان لها تأثير واضح في تحديد اتجاهك الاكاديمي ؟

□ أكملت الدراسة الثانوية في مدرسة العزيزية في عام ٨٥/٨٤ هـ الموافق ٦٥/٦٤ م وقد حباني الله سبحانه وتعالى بتوفيق من لدنه بأن مكنني من التفوق في التحصيل . فكان ترتيبي السابع بالنسبة للمتخرجين من التوجيهية العامة في المملكة تلك السنة . وكان النظام يتيح للعشرة الأوائل اختيار التخصص المناسب حسب رغبة الطالب والالتحاق ببعثة الى الخارج—الولايات المتحدة بالتحديد ، والحمد لله كنت من بين أولئك — فكان هناك اختيار بين علم الاجتماع ، الجغرافيا ، العلوم الاقتصادية والسياسية ، وفي تلك السنة بالذات حقل الآثار . وأذكر أن وزارة المعارف قد خصصت ٤٠ منحة في تخصص الآثار تلك السنة . ويرجع ذلك الى أنه في سنة ٨٤ هـ. بالذات كانت الوزارة قد أنشأت لأول مرة قسماً للآثار وألحق بوكالة الوزارة للشئون الثقافية . وكان هنا ترغيب كبير من جانب القائمين على أمر الابتعاث لحث المتخرجين على الالتحاق ببعثة الآثار وقد قبلت مبدئياً أن ألتحق بها تاركاً لنفسي الفرصة لتعديل ذلك الاختيار بعد انتظامي في الدراسة الجامعية .

وبالطبع غادرت بلدي مكة المكرمة في منتصف عام ٨٥ هـ (سبتمبر ٦٥ م) الى الولايات المتحدة الأمريكية ، والتحقت بادىء ذي بدء بمعهد تدريس اللغة الانجليزية الملحق بجامعة « انديانا » . وكان التغير الذي فوجئت به أول الأمر يكمن في ناحية الحياة الاجتماعية عامة شأني شأن معظم الطلبة المغتربين ، ولكن بحمد الله وفضله لم أجد صعوبة تذكر في التكيف والتأقلم على الحياة الجامعية أثناء فترة دراسة اللغة . ومما ساعد على ذلك وجود عدد لا بأس به من زملائي الطلبة المبتعثين في الجامعة نفسها ، وخاصة ممن سبقونا في الدراسة بالجامعة بشوط طويل — فالتصاقي بهم سهل عليّ أمر التعود على الحياة هناك . ومن تلك الفترة ارتبطت بصداقات متينة مع عدد كبير من الأخوة الزملاء ممن لا أزال أتصل بهم — وذلك على الرغم من أنني لم أمكث في جامعة أنديانا سوى عشرة أشهر ، انتقلت بعدها الى ولاية كاليفورنيا في جامعة « ساكرمنتو » حيث بدأت مرحلة الدراسة الجامعية الفعلية في خريف ١٩٦٦ م . وعند تقدمي للحصول على قبول بالجامعة أوضحت لهم أنني أود بادىء الأمر أن أسجل في قسم يتصل بدراسة الآثار فيما بعد ، فنصحوني بالالتحاق بقسم « الأنثروبولوجيا » نظراً لأن ذلك العلم هو المساق الطبيعي للتخصص في حقل الآثار — في النظام الأمريكي على الأقل — وهكذا انتظمت في قسم الانثروبولوجيا في كلية العلوم الاجتماعية بالجامعة . وكما ذكرت آنفاً لم أكن حتى ذلك الوقت متأكداً من رغبتي في دراسة الآثار . . ولكنني أقنعت

نفسي بالتجربــة خاصة عندمــا أدركت أن التخصصات في حقل الانثروبولوجيا متعددة وواسعة المجالات .

وعندما استعرض تلك الأحداث البعيدة الآن فانني أشعر بالاغتباط وأهنىء نفسي على الاختيار والاستمرار في ذلك الحقل . فقد أثبتت لي التجربة أن مادة علم الانثروبولوجيا ، التي تعتبر مــادة دراسية جديدة نوعــاً مــا بالنسبة لبقية العلوم في حقل الاجتماعيات ، من أكثر العلوم حيوية والتصاقاً بجوانب الحياة البشرية من الناحية الأكاديمية والتطبيقية معاً .

وفي جامعة « ساكرمنتو » كان هناك عدد من الأخوة الطلبة العرب والمسلمين . وكنت أول من التحق بالجامعة من المبتعثين السعوديين — ولحق بي فيما بعد صديقي وزميلي عبدالله سندي وبعد ذلك أيضاً سامي زيدان وشقيقه الأستاذ حسين زيدان ، ثم ازداد العدد فيما بعد الى أن بلغ خمسة عشر طالباً سنة تخرجي من الجامعة عام ١٩٦٩ م . ولقد تركت تلك الفترة من الدراسة في أمريكا أعمق الأثر في نفسي فيما يتعلق بجوهر التكيف بثقافة المجتمع الأمريكي . فقد كنت كثير الشغف بالتعرف على حقيقة ومداخل الثقافة والشخصية الأمريكية ابتداءاً من زميلي في غرفة السكن بالجامعة . مروراً بالعائلة المضيفة في المدينة الى المجتمع الواسع بشتى نواحيه . وكنت أفضل الاندماج مع شرائح عديدة من المجتمع رغبة في اشباع ذلك الفضول الجامح لمعرفة « الأمريكيين » والحياة الأمريكية على أصولها — رغم أن ذلك كان أحياناً على حساب الابتعاد عن زملائي المبتعثين من الوطن ولفترات طويلة . لكنني خرجت في النهاية — على ما أعتقد بمحصلة عميقة من الفهم عن المجتمع والأفراد والمثل والقيم الأمريكية . ومن أهم الأفراد الذين كان لهم تأثير طيب في مسيرتي العلمية أثناء فترة الدراسة الجامعية المبكرة أستاذان بالجامعة كانت تربطني بهما بعض الصلات الشخصية فضلاً عن الصلة الأكاديمية وكلاهما من دكاترة قسم الأنثروبولوجيا ، والأول هو د . محمد فضل ، باكستاني الأصل ، عاش في أمريكا مدة طويلة من الزمن وأصبح أستاذاً في قسم الأنثروبولوجيا بعد نيله شهادة الدكتوراه في الحقل نفسه من جامعة « بيركلي » . وتلقيت منه عدة مواد في علم الأنثروبولوجيا العامة والأنثروبولوجيا الثقافية . وكان في توضيحه لي عن هذا العلم وفوائده الكثيرة علمياً وتطبيقياً أثر في تعلقي بالمادة بعد ذلك ، فالعوامل النفسية لها دور كبير في الأمر ، لا سيما وان علم الأنثروبولوجيا كان لسبب أو لآخر يترك انطباعاً سلبياً لدى الكثير من الشرقيين وأبناء شعوب العالم الثالث . نظراً لاقترانه بدراسات تتصل بنشأة الاستعمار واستمراره بين الكثير من تلك الشعوب . أما الشخصية الثانية — فكانت من أبناء أفريقيا — دولة غانا — وفي الحقيقة كان لهذه الشخصية دور أكبر من دور د . محمد فضل في توجيهي نحو الطريق الذي اختطته بالفعل لاكمال دراستي العليا في حقل الأنثروبولوجيا والآثار . كان هذا هو د . ماكسويل أورسو ، مدرس مادة الأنثروبولوجيا السياسية في الجامعة والذي كان قد التحق بالتدريس حديثاً بعد دخولي الجامعة . والأهم من ذلك أنه تخرج من جامعة شيكاغو التي كانت تعد آنذاك قلعة علم الأنثروبولوجيا وحصنها الحصين . ولذا كان مجيء د . أورسو الى جامعة « ساكرمنتو » وتدريسه بها ثم التصاقي به ضمن علاقات علمية وشخصية ، كان لكل ذلك أثر مباشر في اختياري للالتحاق بجامعة شيكاغو لاكمال الدراسات العليا « ماجستير ودكتوراه » . وكان د . أورسو ذا نشاط فكري ملحوظ وذهن متقد بالأفكار والمشاريع العلمية ، مما جعله من أبرز شخصيات الوسط العلمي في الكلية ان لم يكن في الجامعة بأسرها — وبالتالي كان موقفي تجاهه موقف الاعجاب لكونه أثبت بجدارة وتفوق قدرة الطالب المغترب من العالم الثالث على الوصول الى أعلى مستويات التحصيل الأكاديمي رغم العقبات الكثيرة التي تقف دون ذلك ، وأقلها تحديات اللغة الأجنبية .

وثمة تجربة أخرى في دراستي الجامعية في « ساكرمنتو » كان لها وقع ايجابي على مسيرتي العلمية فيما بعد . وهي تتعلق باختياري للتخصص الثانوي في الجامعة — وهو الشيء الذي كان لا يزال على ما أعتقد من الأمور المفروضة في حياة الدراسة الجامعية هناك . فقد اخترت مادة العلوم السياسية كتخصص ثانوي بعد التخصص الرئيسي في علم الأنثروبولوجيا . واذكر أن أول درس سجلت فيه في مادة العلوم السياسية كان عن تاريخ فلسفة الفكر السياسي الغربي . وكانت متعة فكرية حقيقية وجدت تجاهها ميولاً ورغبة في الاستزادة . وكان لي شرف التفوق في التحصيل لتلك المادة الى درجة أقنعت مدرس المادة على اختياري لمعاونته في تدريسها خلال الفصول التي أعقبت تسجيلي بها . وحدث هذا في السنة الثانية لالتحاقي بالجامعة — وكان ذلك أمراً غير معهود ، حيث أن العادة تقتضي أن المدرس يختار معاوناً له من بين صفوف الطلبة في المرحلة النهائية من الدراسة الجامعية . وكان سروري عظيماً حتى أنه وصل بي الأمر الى التفكير جدياً في تعديل تخصصي الأساسي من علم الأنثروبولوجيا الى العلوم السياسية . . . ولكن ذلك لم يحدث حيث انقطعت عن الأخيرة في السنة النهائية وكرست جهدي الأكاديمي تجاه علم الأنثروبولوجيا حتى الفصل الدراسي الذي تخرجت فيه ونلت شهادة البكالوريوس بفضل الله في ربيع ١٩٦٩ م وبدرجة الشرف الأولى . وعلى هامش ذكرياتي عن فرحة مناسبة التخرج أذكر أنني تلقيت خطاب تقدير شخصية من حاكم ولاية كاليفورنيا آنذاك ، السيد رونالد ريجان ، بصفته رئيس المجلس الأعلى لجامعات كاليفورنيا .

■ هل لك أن تحدثنا عن الموضوع الذي أعددته لنيل درجة الدكتوراه ، وكيف تم لك اختياره ؟

□ موضوع رسالة الدكتوراه الذي اخترته كان يتصل اتصالاً مباشراً بآثار المملكة العربية السعودية . وبالتحديد فترة ما قبل التاريخ

د. عبدالله حسن مصري

في الجزء الشرقي من المملكة . فقد كان من المعتقد في أوساط علماء الآثار والتاريخ حتى وقت قريب أن أراضي الجزيرة العربية لم تشهد تقدماً واحرازاً يذكر في الماضي البعيد مما يتصل بنشأة وازدهار الحضارة وتكوين المدن ، وحيث أنه غلبت عليها الصبغة الصحراوية والجفاف مما لم يساعد على استقرار حضاري ذو معنى . ولكن هذه النظرة المغالى فيها بدأت تنحسر خلال العقدين الخامس والسادس من القرن الميلادي الحالي عندما بدأت تلوح في الأفق اكتشافات أثرية هامة في شرق الجزيرة دلت على وجود حضارة راقية ابان العصر المعروف بعصر نشوء الحضارة – أي قبل خمسة آلاف سنة ماضية تقريباً . وجاءت هذه الاكتشافات أولاً من خلال بعثات الاستكشاف الدانماركية التي مارست نشاطاتها في بقع مختلفة من شواطيء الخليج العربي في البحرين والكويت وعُمان وقطر والامارات ، وأخيراً المنطقة الشرقية من المملكة . وكان لهذه الاكتشافات صدى واسع في أوساط علم الآثار والمهتمين بتاريخ الحضارات .

وهكذا في أوائل السبعينات عندما كنت أتهيأ لاختيار موضوع أجري حوله بحثاً ميدانياً لنيل شهادة الدكتوراه كان هذا التيار الجذاب نحو دراسة ماضي شرق الجزيرة . ولم أكن في الواقع تواقاً لمعرفة ما حدث في شرق الجزيرة قبل خمسة آلاف سنة فقط ، بل كنت أود التركيز على الفترات الزمنية السابقة لذلك ، أي عندما بدأ الانسان يكتشف لأول مرة حياة الزراعة والاستقرار – حوالي ثمانية آلاف سنة سابقة – وكانت تلك الفترة تعرف مجازاً باسم فترة العبيد (بضم العين) نسبة الى موقع قرية بهذا الاسم في جنوب العراق . وفترة العبيد هذه معروفة لدى مؤرخي الحضارات القديمة بأنها كانت نقطة الانطلاق الكبير الذي انتهى ببزوغ حضارة سومر في بلاد الرافدين والتي نشأت عنها الكتابة وفن الري الزراعي وتكوين الدولة ، الى غيرها من القواعد الحضارية الأساسية لتطور الانسانية . ولم يكن معروفاً ما اذا كانت فترة العبيد هذه قد اقتصر وجودها على جنوب بلاد ما بين الرافدين أم أنها وفدت الى هناك من بقاع أخرى كشرق الجزيرة العربية مثلاً . ومما عزز هذا الافتراض الأخير أن آثاراً تنتمي الى فترة العبيد كانت قد اكتشفت في مواقع مختلفة من المنطقة الشرقية بالمملكة ابان العمل الاستكشافي الذي تولته البعثة الدانمركية هناك حوالي عام ١٩٦٨ م (١٣٨٨ هـ) ، بل وحدث قبل ذلك أن التقطت جماعات هواة البحث عن الآثار في صحراء المنطقة الشرقية العديد من آثار الفترة . لكل ذلك قررت أن يكون موضوع رسالتي وبحثي هو تتبع وكشف كافة بقايا خلفية هذه الفترة الثقافية ، وهل كانت أصيلة في المنطقة أم أنها وافدة من الشمال ؟ الى غير ذلك من الاستنتاجات المهمة للبحث . وبحمد الله وفضله تمكنت من الحصول على موافقة الجهات المسؤولة للقيام بذلك البحث في أوائل عام ١٩٧٢ م (١٣٩٢ هـ) . وجاءت النتائج مثمرة للغاية بل أنني وبفضل الله حققت الكثير من الاكتشافات التي كان لها وقع كبير في أوساط العلم وخارجه .

وباختصار جاء التحليل النهائي ليثبت أن شرق الجزيرة العربية شهد استقراراً بشرياً متواصلاً حتى لما قبل فترة العبيد . أي أنه كانت هناك جماعات من البشر تسكن مناطق ثابتة وتستخدم طرقاً أولية في الزراعة ورعي المواشي والأغنام ، وابان فترة العُبَيد واصلت هذه الجماعات استقرارها المعيشي باضافة لون من الوان الحضارة ألا وهو استخدام الفخار في حياتهم . وهكذا فانه من المحتمل وجود تأثير مباشر من الجماعات التي كانت تقطن أجزاء من الاحساء على نشأة وازدهار ما نسميه بفترة العبيد في جنوب بلاد ما بين الرافدين . وقد يبدو هذا استنتاجاً ضئيلاً ، ولكنه اذا ما قورن بما كان سائداً من أفكار ونظريات حول خلفية الحياة المستقرة والتقدم البشري في الجزيرة العربية فانه يمثل بعداً جديداً ومهماً للغاية .

■ **أعتقد أن لك بحوثاً ونشاطات أثرية في المملكة العربية السعودية ، بودنا لو حدثتمونا عنها . قد يكون لديكم انتاج فكري خارج عن نطاق تخصصكم . حدثنا عن أي نوع من الانتاج الفكري تميلون ؟**



□ تنحصر نشاطاتي العلمية حالياً في نطاق عملي الرسمي كمسؤول عن الآثار والمتاحف في المملكة ، ولو أنني بين حين وآخر أساهم بالكتابة والبحث في المجلات المتخصصة عالمياً ومجلات التراث محلياً . فلقد ساهمت ببعض البحوث في مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض ، ومجلة الدارة ، كذلك كانت لي مساهمات في عدد من الحوليات الأجنبية ذات العلاقة بالآثار . وأكثر ما استحوذ على اهتمامي خلال السبع سنوات السابقة من حياتي العملية هو

محاولة ارساء قواعد البحث والاستكشاف العلمي الأصولي لكافة أراضي المملكة وعبر جميع الفترات الزمنية . وأهم انجاز حققناه ، بفضل الله ورعايته ، هو تمكننا من حصر وتسجيل عدد كبير من المواقع الأثرية المختلفة وفي شتى انحاء المملكة على مدى خمس سنوات متواصلة ابتداءاً من ١٣٩٥ هـ – وحتى ١٤٠٠ هـ . أضف الى ذلك حصر معالم وآثار الدرب الاسلامي الشهير « درب زبيدة » الممتد من الأراضي المقدسة الى جنوب العراق .

وفضلاً عن هذا النوع من النشاط الاستكشافي فانني أمارس أيضاً مهمة تحرير المجلة العلمية « أطلال » التي تصدرها الادارة العامة للآثار والتي تسجل الاكتشافات والأبحاث القائمة على أرض المملكة ، وحتى الوقت الحاضر فقد أصدرنا أربعة أعداد من الحولية بمعدل عدد في السنة الواحدة .

أما عن الانتاج الفكري خارج نطاق النشاط الأثري ، فانني أمضي بعض الوقت في تتبع وتحليل ظواهر التغيرات والتحولات الاجتماعية والثقافية التي تكتنف تجارب التنمية لدى شعوب ما يسمى بالعالم الثالث . ورغم أنني كثير الميول الى هذا النوع من البحث والاستقصاء فانني لم أوفق في استكمال أطروحة واحدة للنشر حتى الوقت الحاضر ، وأعزو ذلك بالطبع الى مدى انشغالي بالنشاط الأثري وارساء قواعد الوعي نحو المتحف كمؤسسة ثقافية لها دور هام في حياة المجتمع . وبالطبع أنا مهتم بكل ما يكتب حول التطور الاجتماعي والثقافي ، وأتابع عن كثب مؤلفات الكتاب المرموقين في هذا المضمار عرباً وأجانب . وآمل مستقبلاً أن يتوفر لي الوقت لأساهم مباشرة في ذلك .

■ **بحكم منصبك الحالي كمدير لادارة الآثار والمتاحف ، نود لو تطلعنا على أبرز الأعمال التي قامت بها الادارة والنتائج التي حققتموها في ميدان الكشف الأثري .**

□ لقد تحدثت آنفاً عن أهم انجازات الادارة العامة للآثار في مجال الكشف والاعلام عن الآثار ، وان بقي هناك شيء يجدر الحديث عنه فهو بصدد برامج انشاء المتاحف ، حيث اننا نعكف حالياً على مشاريع كبيرة في هذا المجال . فلقد تقرر انشاء شبكة واسعة من المتاحف على مستويات مختلفة :

– انشاء ثمانية متاحف محلية قرب مراكز الآثار الهامة في المملكة وهي تشمل: العلا ، مدائن صالح ، دومة الجندل ، تيماء ، نجران ، تهامه ، الهفوف ، القصيم ، ووادي الدواسر . وتهدف هذه المتاحف الى تكريس العناية والاهتمام العلمي بالآثار المحلية البارزة في تلك المناطق بالاضافة الى كونها مؤسسات لاستعراض أبرز الموجودات الأثرية فيها . وقد انتهينا بفضل الله من اعداد كافة المخططات والتصاميم وسيبدأ الانشاء قريباً جداً انشاء الله .

– انشاء خمسة متاحف اقليمية في أمهات مدن المناطق الرئيسية في المملكة وهي كلا من جدة ، الدمام ، أبها ، تبوك ، وحائل . وقد خصصت بالفعل بعض القصور والمباني التراثية القديمة في عدد من هذه المدن لذلك الغرض .

– انشاء متحفين اسلاميين في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وقد بدىء بالفعل في اصلاح وترميم قلعة أجياد التاريخية في مكة المكرمة والتي ربما اختيرت للمتحف . أما بالنسبة للمدينة المنورة ، فقد تم مؤخراً تخصيص أرض مناسبة بالقرب من « جبل أحد » لانشاء المتحف عليها .

– انشاء متحف وطني مركزي كبير في مدينة الرياض يمثل المحور لشبكة المتاحف المختلفة ويضم عدداً من الأنشطة المتحفية ، بالاضافة الى الآثار والتراث . وقد خصصت أرض المربع لذلك الغرض بما في ذلك قصر جلالة الملك عبد العزيز ، رحمه الله ، الذي سيكون ، بعد اضفاء بعض الاصلاحات عليه ، جزءاً من متحف التراث الشعبي . وتجرى الآن دراسات التصاميم والتخطيط الشامل لتطوير كامل المنطقة لتتلاءم مع الغرض الثقافي المنشود .

هنالك ايضاً نشاطات أخرى تنجزها الادارة العامة للآثار في مجال الترميم والحفاظ على نماذج العمارة التقليدية في كافة مناطق المملكة . فقد أقدمت الادارة على وضع يدها على عدد لا بأس به من تلك النماذج المتمثلة في قصور الطين أو القصور الحجرية ، وتسعى الادارة كذلك الى التعاون مع وكالة تخطيط المدن بوزارة الشئون البلدية والقروية لايجاد حلول تكفل الحفاظ على الأجزاء القديمة في المدن التاريخية .

■ **هل هناك منطقة معينة في المملكة تجتذبك أكثر من غيرها من الناحية الأثرية ومدى أهميتها في نظرك ؟**

□ أهم المناطق من الناحية الأثرية هما المنطقة الشرقية ، والمنطقة الشمالية الغربية . ففيهما تنحصر أبرز معالم الآثار والحضارات القديمة التي شهدتها الجزيرة العربية قاطبة . وبالنسبة للمنطقة الشرقية بالذات فان مستقبل الأبحاث والدراسات التفصيلية يبشر باكتشافات مثيرة على كافة أصعدة الاهتمامات الأثرية ، مثل تاريخ المناخ القديم والحياة النباتية والحيوانية المبكرة ، بالاضافة الى قضايا أخرى . وأنا شخصياً أجد نفسي مشدوداً الى البحث في هذه المنطقة ربما بسبب التصاقي بها بادىء ذي بدء ، وأرجو ان شاء الله ان تسنح لي فرص كثيرة لمواصلة الاهتمام الشخصي والتنقيب في المنطقة .

■ **لا بد أن الادارة عثرت على بعض اللقى الأثرية التي تعتز بها لأهميتها العلمية والتاريخية فهل لك أن تحدثنا عن هذه القطع الأثرية التي ترى أنها ألقت ضوءاً جديداً على معرفتنا التاريخية ؟**

□ من أهم ما عثرت عليه الادارة مؤخراً يتمثل في حجرين منقوشين وجدا خلال تنقيب محدود في موقع آثار تيماء ، ويعود تاريخهما الى القرن السادس قبل الميلاد على أقل تقدير ، وكتبا بالخط الآرامي القديم – وتبرز عليهما نقوش فريدة لبعض الرموز

د. عبد الرحمن مصري

الوثنية التي كانت سائدة في منطقة الشرق الأوسط عامة ، مما يعزز الفكرة السائدة عن تيماء وأهميتها التاريخية والحضارية خلال الألف الأولى السابق للميلاد .

■ **هل لك اتصالات بجهات عربية وغير عربية تتعلق بالميدان الأثري ؟ هل هناك تعاون ما بين ادارتكم وبين المؤسسات الأثرية والعلمية في الخارج ؟**

□ اتصالاتنا العلمية مع الجهات المهتمة بالآثار والمتاحف عربية ودولية كثيرة جداً . فأولاً نحن أعضاء في اللجنة الدائمة للمديرين العامين للآثار والمتاحف في البلاد العربية وهي اللجنة المنبثقة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وتقوم هذه اللجنة بدور فعال حيال تكريس الجهد العربي نحو الاستكشاف والترميم للآثار وتقديم المساعدة للدول ذات الحاجة الفنية . وقد أحرزت هذه اللجنة الكثير من الانجازات الملموسة في عدد من الدول العربية .

هناك أيضاً اتصالات بيننا وبين المنظمات المعنية بالآثار والمتاحف أو المتعاونة مع منظمة اليونسكو الدولية - مثل منظمة الأكروم الخاصة بالمتاحف أو الأيكوموس والأيكوم المتعلقتين بأمور الاهتمام بالمعالم الأثرية وتسجيلها . وبين الحين والآخر تستضيف الادارة العامة للآثار بالمملكة عدداً من الخبراء الموفدين من لدن هذه المنظمات لمعالجة قضايا أثرية مختلفة . كذلك لنا ارتباطات ثنائية في مجال الآثار مع عدد من الدول العربية الشقيقة . مثل الأردن حيث يقوم هناك تعاون مشترك في مجال المسح الأثري للمنطقة الشمالية الغربية من المملكة . ويتم مؤخراً ارساء قواعد التعاون المشترك في مجال المسح ومجال الترميم وصنع النماذج والقوالب للتحف الأثرية فيما بيننا وبين كل من المغرب وتونس الشقيقتين .

■ **ما مدى استفادة ادارتكم من التقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر في التنقيب الأثري ودراسة الآثار وتقرير الحقائق التاريخية ؟**

□ لا شك أن التقنية العلمية الحديثة خاصة في مجال علوم الطبيعة والكيمياء وكذلك الحاسب الآلي قد أفادت علم الآثار بالشيء الكثير . وقد وضعنا في برامج تنمية الآثار والمتاحف في بلادنا العديد من الخطط الهادفة نحو تمكيننا من الاستفادة من شتى الوسائل العلمية الحديثة المتوفرة لمساعدة العمل الأثري . وأهم ما يذكر في هذا المجال هو أننا قد اعتمدنا في مخطط مشروع المتحف المركزي بالرياض ، انشاء معمل كامل للتزمين والاختبار العلمي ، ويشمل ذلك عناصر طريقة التزمين بواسطة الكاربون المشع وكذلك التزمين بواسطة طريقة البوتاسيوم آرجون . بالاضافة الى مختبرات الفحص للمواد العضوية المختلفة ومختبرات تحليل التربة الأثرية والهياكل العظيمة الخ . . . ونكتفي في الوقت الحاضر بالاستعانة بالمختبرات العالمية لتحقيق المهام الحالية ، فمثلاً نتعامل مع مختبر جيو كرون في الولايات المتحدة الأمريكية لتحديد زمن العينات التي يعثر عليها من خلال النشاطات الحالية . أما عينات المواد العضوية فنبعث بها عادة الى بعض المعامل العلمية في بريطانيا .

ومن ناحية أخرى ، تجرى دراسة الاستفادة من وسائل التزمين بطريقة حصر الدوائر الخشبية وذلك بالتعاون مع احدى المؤسسات العلمية التي تولت مثل هذا العمل في تركيا .

ومن وسائل التكنولوجيا الأخرى التي تهدف الى الاستفادة منها هو ادخال نظام الحاسب الآلي « الكومبيوتر » ضمن أعمال البحث الأثري وكذلك في مجال حصر سجلات الموجودات المتحفية . فمن المعروف عالمياً أن الكثير من المتاحف ومؤسسات البحث العلمي الأثري قد وجدت نفعاً كبيراً من جراء استخدام نظام الحاسب بعد تطوير برامج محددة وخاصة التي تخدم حاجة العالم الأثري وأمين المتحف . وعليه فقد تم اعتماد ادخال نظام الحاسب ضمن مشروع المتحف الوطني المركزي بالرياض .

■ **يقول البعض ان عمل العالم الأثري لا يخرج عن دور الناقد ، وذلك من حيث تتبع الآثار وتمييز صحتها من عدمه ، فهل ترى ان عمل العالم الأثري يقف عند ذلك الحد ؟**

□ هذا ليس صحيحاً ، فالعالم الأثري يقوم بدور لا يتشابه كثيراً مع دور الناقد . وان جازت المقارنة فاربما يتشابه دور العالم الأثري مع دور الباحث السري - الذي يجمع أطراف قضايا غير مترابطة وفاقدة لمضامين ومعان معروفة اذا أخذت على حدة ، ثم يقوم بمحاولة الربط بينها على أساس قد لا يكون ظاهراً أو متضمناً في أي من تلك القضايا . هذا في الواقع هو التشبيه المتعارف عليه حول مهمة العالم الأثري . ولكن هذا تبسيط للمهمة . فالعالم الأثري الجدير بالتمييز في يومنا هذا له صفات المنسق العام وضابط الاتصال لكثير من الوقائع والحقائق والأبحاث البعيدة عن بعضها البعض - فالعالم الأثري المثالي يجب أن يكون ذا المام بأمور تتعلق بالفيزياء والكيمياء وأمور تتعلق بالتاريخ الطبيعي والأحياء ، وأخرى تتصل بعلم المناخ والتحولات الأرضية السطحية بالاضافة الى لزوم معرفته القاعدية بأسس علم الجيولوجيا . هذا من ناحية العلوم ، أما من ناحية الاجتماعيات فيجب على العالم الأثري أن يكون محيطاً بأبحاث التغير الاجتماعي والثقافي ، وأبحاث تطور التركيبات الحضرية في المدن والأقاليم المعاصرة والتاريخية وكذلك يلزمه الاستعانة بنظريات الاقتصاد والانتاج .

■ **كيف تحدد العلاقة بين العالم الأثري والمؤرخ ؟**

□ في الماضي كان الفارق بين علم الآثار وعلم التاريخ يفسر على أنه يتمثل بذلك الحاجز الوهمي الذي يقف حداً فاصلاً بين الزمن المعروف بالكتابة والتاريخ وما خلف ذلك الفاصل . فكان عالم الآثار يقف خلف ذلك الفاصل في حين أن المؤرخ يبرز أمامه . لكن تقدم العلوم كافة وما أحرزه علم التاريخ في العقود الأخيرة من انفتاح على العلوم الأخرى في حقل الاجتماعيات

د. عبد الله حسن مصري

جعل من الصعب مقارنة العلاقة بين المؤرخ وعالم الآثار عبر ذلك الفاصل الزمني الوهمي .

فلقد أصبح المؤرخ يكمل رسالة عالم الآثار والعكس صحيح ، في حين أن المؤرخ أقرب الى صبغ رسالته في محتوى فلسفي انساني من عالم الآثار . فعالم الآثار يظل ذلك الباحث الذي يطوي الأرض رأسياً ليتلقف بعض مكامن الحقائق البائدة والموجودة في أعماقها ليقدمها في قالب حقائق جديدة . ويأتي المؤرخ ليحورها في مضمون التجربة الانسانية المستمرة . وعالم الآثار يصنع الحقائق باقتلاعها من جوف غيبوبة الزمن المفقود ، والمؤرخ يستهلك تلك الحقائق في محتويات متعددة الأغراض .

■ **لو كنت بعيداً عن ادارة الآثار والمتاحف وتحمل نفس تخصصك ، فما الأعمال التي تقترح تنفيذها في هذه الادارة ؟**

□ لو كان الأمر كذلك لقدمت تواً بعض خدماتي لتنفيذ الأعمال العلمية ذاتها شخصياً ، وهذا يعكس مدى تعلقي بممارسة النشاط الأثري في الحقل شخصياً ، ولكن بحكم ظروف عملي الاشرافي حالياً لا أتمكن من ذلك .

■ **الآثار تعني تاريخ الانسان على وجه الأرض ، فهل لك أن تعطينا ايضاحاً لهذا الأمر بحكم تخصصك وعملك ؟**

□ نعم الآثار تمثل تاريخ الانسان على وجه الأرض ، وهذا هو أقرب تعريف لمضمون لفظ الآثار من ناحية الدقة العلمية . فاهتمامنا بالآثار لا يستوحى من حيث المادة التي صنعت منها ولا من حيث جوانبها الفنية بل يركز الاهتمام على صانعها « الانسان » ويخطيء



من يظن أن دراسة الآثار هي محاولة تخليد عظمة الانتاج الانساني في الماضي سواء في مجال العمارة والتشييد أو الصناعات بشتى أنواعها. فمنذ أن نشأ علم الآثار كمادة علمية كان الهدف الأساسي منها هو دراسة الانسان القديم عن طريق آثاره ، وليس تكريس الجهد على ابراز أجمل وأحسن ما خلفه من آثار . ان عالم الآثار مهتم بهوامش مخلفات الانسان القديم مثل كسر الفخار وشظايا الأدوات الحجرية التي استعملها أكثر مما يهتم بالمواد المصنعة الكاملة ذاتها ، وهذا حتماً يعكس مباشرة اهتمام العلم بتجربة الانسان وطريقته في التفكير ومحاولاته تجاه تكييف العالم الطبيعي حوله لأغراضه المعيشية وغيرها . اذاً فالآثار في حد ذاتها ليست هدف البحث والاستقصاء بل الانسان وتجربته ومحاولاته ونجاحه وفشله — أي تاريخه — هو بالأحرى بيت القصيد .

■ **ما هي سبل نشر الوعي الأثري بين المواطنين في المملكة ؟ .**

□ نشر الوعي الثقافي عن الآثار والحضارة يعتبر من أهم الواجبات الثقافية في مجتمعات العالم الثالث بصفة عامة . وفي المملكة بدأت المسيرة تجاه ذلك الهدف منذ فترة غير قصيرة . فلقد أسهم مؤرخونا من أمثال الشيخ حمد الجاسر والشيخ عبد القدوس الأنصاري والشيخ عبدالله بن خميس وغيرهم من الكتاب والمؤرخين المرموقين ، أسهموا بنصيب وافر في حملة التوعية المعاصرة وذلك من خلال كتبهم ومجلاتهم ومقالاتهم الشيقة . ثم جاء الرعيل الثاني وأخذ في أداء الرسالة عبر وسائل أكثر حداثة — أي عن طريق وسائل الاعلام مثل الاذاعة والتلفزيون — وأخص بالذكر هنا الدكتور عبد الرحمن الانصاري الذي أسهم في تقديم برامج وحلقات اذاعية مخصصة لنشر الوعي عن الآثار . والادارة العامة للآثار أولت هذه المهمة جهداً وافراً ، فنحن نسلك الطرق المباشرة للوصول الى المواطن برسالتنا نحو الوعي الثقافي عن الآثار . فالمدارس على مختلف مراحلها تمثل أحد الأهداف الرئيسية لمهمتنا ، حيث نركز على الاتصال بجميع المدارس بنين وبنات بتوزيع مطبوعاتنا التي هدفها التوعية وكذلك ترغيب الطلبة وتشويقهم لزيارة المتحف ، وأعتقد أن الرسالة سوف تؤتي ثماراً أكثر وأحسن عندما تكتمل شبكة المتاحف في شتى أنحاء المملكة . فالمتحف هو السبيل الأقوم لنشر رسالة التوعية عن الآثار . وقد قمنا مؤخراً بانتاج أفلام سينمائية تعريفية ومتخصصة عن جميع جوانب الآثار والحضارات الانسانية التي شهدتها المملكة في الماضي — وستكون هذه الأفلام ، ان شاء الله ، احدى الركائز لنشر التوعية حيث أننا سنقوم بتوزيعها على المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية الأخرى .

■ **هل تحبذ تدريس مادة علم الآثار في المنهج الدراسي للمراحل السابقة للمرحلة الجامعية ؟ وكيف ترى أفضل الطرق لتدريس هذه المادة ، هل هناك اقبال على دراسة هذه المادة ؟**

□ تدريس مادة علم الآثار دون المستوى الجامعي قد لا يكون مطلوباً في ظروف المجتمعات النامية . ولكن هذا لا يمنع من ادخال عنصر التثقيف الأثري ضمن مواد التاريخ والدراسات الاجتماعية — خاصة بين صفوف الأحداث في المستوى الابتدائي . وهذا في الواقع هو المنهج الذي تتبعه معظم دول العالم الغربي فمثلاً ، تدرس مواد مقارنة الحضارات بشكل سطحي في المرحلة الابتدائية ويكون التركيز في البداية على المنجزات الايجابية للحضارات عن طريق الصور ، وبهذا يتكون لدى التلميذ قواعد راسخة عن أهمية التاريخ والحضارة . وسيكون لدينا في المملكة

ان شاء الله، نهج مماثل لهذا حيث تدور الآن دراسات حول هذا الموضوع وهدفها انتاج بعض الكتب الدراسية للمراحل الابتدائية والمتوسطة تركز على التعريف الحضاري للتاريخ الوطني .

■ **ما هي الدلائل التي يتوخاها العالم الأثري ليقرر في ضوئها اجراء حفرية في مكان ما ؟**

□ تختلف مميزات المواقع الأثرية مع اختلاف المنطقة والتربة والتضاريس الجغرافية . ولكن من المتعارف عليه بين علماء الآثار أن أفضل دليل على عمق التراكم الأثري في موقع ما هو اختلاف لون التربة عن الأرض المحيطة . وبالطبع هناك دلائل أخرى تتصل بالبروزات المعمارية المختفية تحت سطح الأرض ، وكذلك ارتفاع التراكم الترابي على ظهر الموقع . ويستعين بعض علماء الآثار بأجهزة خاصة مهمتها تحديد الأماكن الغنية بالمواد الأثرية خاصة المعدنية منها .

■ **اذا رأيت حجراً منقوشاً أو سمعت أحداً يتحدث عنه ، فبماذا يوحي اليك هذا الحجر المنقوش وأية خواطر يثيرها في نفسك ؟**

□ هذا الأمر يعتمد على المكان الذي وجد او يوجد فيه ذلك الأثر . فالنقش يعبر عن فن الكتابة ، والكتابة ترمز الى امتداد التاريخ وهو أهم اكتشاف يمكن أن يحرزه عالم الآثار خلال أبحاثه . فلو حدث أن علمت عن وجود صخر منقوش بكتابات غريبة في جزيرة تاروت بالمنطقة الشرقية مثلاً ، لهرعت تواً لاستطلاعه ، وأطياف أحلام وتوقعات كبيرة تداعب مخيلتي عن اكتشاف عظيم في أسفار حضارة سومر التاريخية .

■ **لا بد وانك زرت متاحف وآثاراً أجنبية وخرجت بأفكار جديدة تود تطبيقها في متاحف الآثار في المملكة ، فهل لك أن تحدثنا عما يمكن احداثه في متاحف المملكة لابراز التراث الحضاري للأمة العربية والاسلامية ، ولتطوير المتاحف والقائمين عليها ؟**

□ أكثر ما شد انتباهي واستحوذ على اعجابي من بين المتاحف والآثار العالمية التي اطلعت عليها هو متحف المكسيك الوطني في مدينة المكسيك ، وبحق فان ذلك المتحف يعتبر أكثر المتاحف نجاحاً في رسالته نحو التعبير عن الثقافة الوطنية للبلد وجذب المواطنين للتفاعل مع تاريخهم وحضارتهم بكل ما في تلك الكلمة من معنى . وكل ما أرجوه أن نوفق هنا في المملكة في خلق اطار شبيه بتلك التجربة . وأعتقد أن ذلك ليس بالعسير اذا ما أحدثنا التوعية الثقافية المطلوبة من الجذور – أي عن طريق بثها بين صفوف الأحداث والتلاميذ على المستويات القاعدية .

■ **هناك عدد لا يستهان به من المستشرقين وعلماء الآثار والمؤرخين الأجانب الذين جابوا الجزيرة العربية وكتبوا عنها . ما رأيك بما كتبوا ؟ والى أي حد يمكن الاعتماد على مؤلفاتهم وبحوثهم ، ومدى استفادة ادارة الآثار والمتاحف من أعمالهم ، بودنا لو تذكرون بعض الأسماء التي تنال احترامكم ؟**

□ المستشرقون الذين كتبوا عن الجزيرة العربية في الواقع تندرج اسهامات معظمهم في اطار أدب الرحلات . فبدءاً بحملة نيبور الشهيرة في ١٧٦٥ ومروراً بأسماء مشاهيرهم مثل « بوركهارت » و « موسيل » وانتهاء « بفيلبي » . جميعهم انتهجوا مبدأ الوصف والتسجيل لما شاهدوه في شتى بقاع الجزيرة . وغالباً ما كانت تنطوي حملاتهم الاستكشافية على أغراض تتصل بمهام أخرى بالاضافة الى المعرفة العلمية المجردة .

فمن هذا المنطلق يمكن القول أن كتابات المستشرقين تعتبر ذات نفع كبير بالنسبة لنشاط البحث الأثري الحالي . وللتدليل على ذلك أذكر أننا عندما بدأنا التخطيط لبرنامج حصر آثار المملكة ، انصبت أولى اهتماماتنا على تكليف أحد الباحثين باستقراء جميع مصادر وكتب المستشرقين عن الجزيرة العربية بما في ذلك المراجع الكلاسيكية من العهود الرومانية والاغريقية . وكان لهذا العمل جدوى كبيرة في تسهيل مهمة الحصر والتسجيل .

■ **سمعنا عن دعوة اتحاد المؤرخين في مؤتمره الأخير الى اعادة كتابة التاريخ العربي فما هو رأيكم الخاص بهذه الدعوة ؟**

□ من المسلم به ان تاريخ العرب والمسلمين كما هو معروف على مستوى الفهم والفكر العالميين يحتاج الى الكثير من التصحيح ان لم يكن التعديل الشامل . وأنا أحبذ أن يكون هناك دور للمؤرخ العربي والاسلامي في اعادة طرح المفاهيم الحقيقية لتسلسل الأحداث في تاريخ العرب والمسلمين ، وأهم من ذلك أن يتم التركيز على مضمون رسالة حضارة العرب والمسلمين في المجال العالمي للحضارة الانسانية ، والابتعاد عن جعل التاريخ سلسلة من الانجازات والتاريخ الشخصي للمبرزين والقادة العظام في ذلك التاريخ . وهذا في الواقع ما جنح اليه كتاب الغرب في تحليلهم لحضارة العرب المسلمين . وأظن أنه ان يقتصر الأمر على اعادة كتابة التاريخ العربي فحسب بل سوف تظهر هناك اتجاهات أخرى بصدد عناصر الحضارة الاسلامية والحاجة الى ابرازها بشكل علمي دقيق كما حدث بالنسبة للحضارات الغربية مثل الرومانية واليونانية ، وليس أدل على وجود مثل هذا الاتجاه من الجهود التي تبذل في الوقت الحاضر لاصدار موسوعة شاملة عن معطيات الحضارة الاسلامية ، تلك الجهود التي تتبناها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ويشترك فيها عدد كبير من أعلام المؤرخين والمفكرين العرب .

■ **هل لك مآخذ على المؤرخ العربي قديماً وحديثاً ؟ وهل لديك أية توجيهات تقدمها للمؤرخ العربي المعاصر ؟ بودنا لو ذكرتم أسماء بعض المؤرخين الذين ترتاح اليهم .**

□ المؤرخ العربي قديماً وحديثاً لا يمكن تقويم انتاجه واسهاماته بمعزل عن المسيرة الثقافية والفكرية في المجتمعات العربية ، فهو بحق يعكس الايجابيات وكذلك السلبيات التي تعتور تلك المسيرة . في الماضي كان المؤرخ يتناول المادة التاريخية بنوع من الشمولية

د. عبد الله حسن مصري

الموضوعية بحيث يستعرض كافة جوانب التجربة الانسانية من نواحي عوامل البيئة المحيطة والظواهر النفسية الاجتماعية مثلما حدث فيما بعد بالنسبة لدراسات التاريخ الطبيعي خلال القرون الوسطى في أوروبا . وكانت هذه النظرة الشمولية أو الموسوعية في البحث تمثل منهاجاً ثابتاً سار عليه عدد من أعلام المؤرخين العرب الأوائل — أبرزهم العلامة ابن خلدون . ومع ذلك كان هناك مؤرخون من أمثال الهمداني ممن انتهجوا نهجاً تقليدياً أقرب الى السرد الواقعي والوصف ، وهذا بالطبع ظل معنا حتى الفترة المعاصرة تقريباً . وليس من شك في أن النهج الشمولي هو الأمثل في المعالجة النظرية التاريخية ، وقد أثبتت تجارب التطور في أكاديمية العلوم الاجتماعية والانسانيــة صحة ذلك . ولذا فــانني آمل أن تتبلور مفــاهيم المؤرخين المعــاصرين تجاه ذلك المنهج أكثر فأكثر .

■ **حدثنا عن مدى اسهام دور الآثار والمتاحف في البلدان العربية عالمياً ومحلياً في بلورة القضايا العربية المعاصرة ، ونشر الوعي القومي ، والتعريف بواقعنا وحضارتنا .**

□ ادارات الآثار والمتاحف عامة وفي البلاد العربية خاصة ، في الحقيقة ، وبحكم مهامها التقليدية قد لا تكون المنطلق المثالي للنهوض بما اشرتم اليه ، فموضوع بلورة القضايا العربية المعاصرة مهمة قومية يشترك فيها المفكر والأديب وعالم الاجتماع والاقتصاد ، وغيرهم من طلائع المثقفين العرب . وان كان هناك دور لهذه المؤسسات في هذا المجال فانه يقتصر على ابراز الحقائق الحضارية للأمة بعيداً عن النزعات المغرضة والتشويه المفتعل ، فلقد عانت الحضارة العربية الاسلامية الكثير من الاجحاف وعلى أيدي الأثريين والمؤرخين الغربيين سواء عند تقويمهم لها في استعراضهم لحضارات الشرق القديم عامة أو باهمالهم لدراساتها وبحوثها في أحيان أخرى . وظل الفراغ قائماً حتى بدأ أبناء الأمة العربية يدركون أهمية تناولهم مرحلة التنقيب الأثري بأنفسهم مباشرة. وانني أجزم أن أهم ما يمكن أن تسديه مؤسسات العناية بالآثار في البلاد العربية تجاه قضايا وتراث الأمة هو حث أبناء الوطن العربي وتشجيعهم على التخصص في مجال التراث والآثار على الأسس العلمية . ونحن في المملكة نهتم بهذا الأمر ، أكثر من اهتمامنا بأي نشاط آخر . وليس أدل على ذلك من أن عدد المبتعثين الى الجامعات الأجنبية للتخصص في حقل الآثار قد بلغ أكثر من ستين مبتعثاً حتى الوقت الحاضر — وهذا عدد لا يستهان به بالمقارنة مع حجم وعمر التجربة في بلادنا . وجامعات المملكة أيضاً قد بدأت مسيرة ايجابية تجاه هذا الموضوع ، ففي جامعة الرياض هناك قسم مستقل للآثار والمتاحف ، يبلغ عدد الطلاب المسجلين فيه للعام الدراسي الحالي أكثر من مائتي طالب .

■ **لا بد ان لك هوايات معينة تمارسها ، فهل لك أن تحدثنا عنها ؟ فأي نوع من أنواع المعرفة تميل اليه أكثر من غيره . ؟**

□ من هواياتي المفضلة مشاهدة المسرحيات التاريخية ، والأوبرات الملحمية ، كذلك الاستماع للموسيقى الكلاسيكية ، وأميل بشكل خاص نحو الموسيقى والغناء التقليدي . ومن ألوان الرياضة ، أحب ممارسة السباحة متى ما تهيأت لي الفرصة لذلك . وكذلك أهوى لعبة « البليادرو » .

أما القراءة فهي تمثل أكثر الأمرر متعة لدي ، خاصة في محيط الاطلاع العام على المجلات المتخصصة والعلمية ، كما أنني أميل الى قراءة كتب ومراجع علم الاجتماع المقارن وما يتصل بالتغيرات الثقافية داخل المجتمعات التقليدية .



■ **تطلعات مستقبلية ترغب في تحقيقها على الصعيدين الشخصي والعام .**

□ أكثر ما أتطلع اليه في المستقبل القريب هو أن أتمكن من ممارسة البحث الميداني المباشر في مجال التنقيب ، وآمل كذلك أن أتولى نشر الكثير من المراجع في ميدان دراسة ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية .

■ **حكمة تؤمن بها .**

□ « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » .

■ **آية قرآنية ترددها كثيراً .**

□ « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا — وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

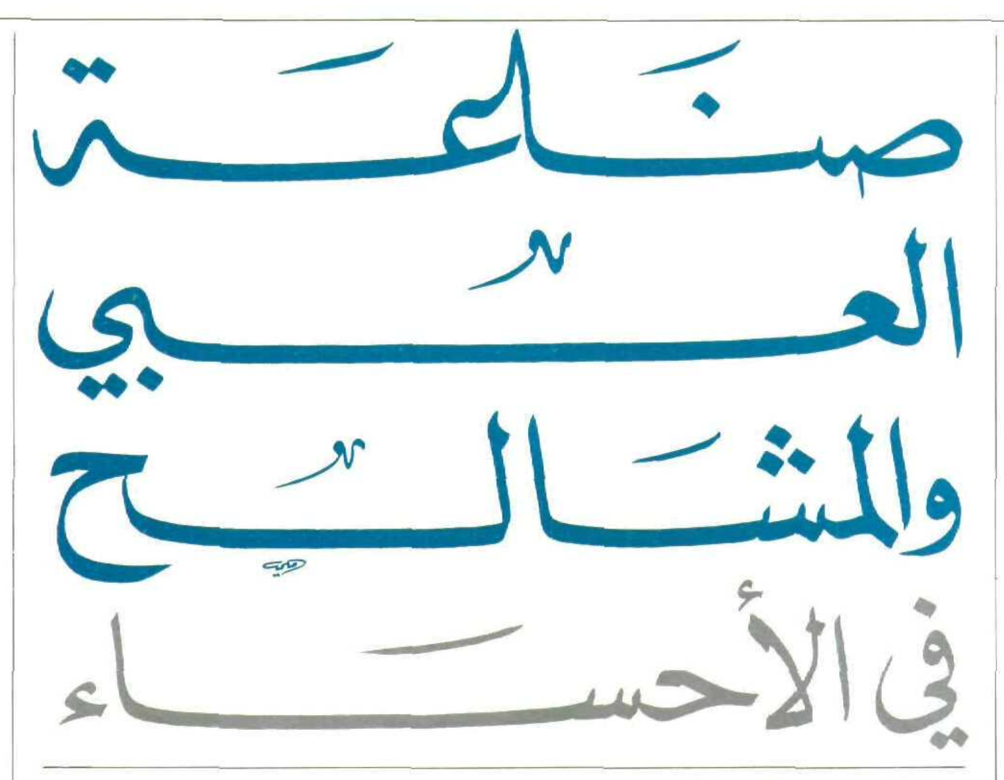
■ **بيت من الشعر يتردد على لسانك .**

□ أمــــن أم أوفى دمنة لـــم تكلم
بحــومـــانة الـــدراج فالمتثلـــم

اجرى القاء : سليمان نصر الله / هيئة التحرير
تصوير : مالكوم نوبل



خيوط الغزل مسدولة الى السدى في معمل الحياكة حيث تجرى عملية النسج يدوياً .



مقدمة

اشتهرت الاحساء منذ القدم بكثير من الصناعات الشعبية ، وهي مهن تلبي احتياجات المنطقة ، وبعض مدن المملكة ، ومن أهم تلك الصناعات المحلية القديمة والعريقة صناعة العبي .

تؤكد أكثر الروايات أن الاحسائيين اشتهروا بصناعة العبي منذ ظهور الاسلام تقريباً . والعباءة حسب التعريف اللغوي : هي كساء مفتوح من الأمام يلبس فوق الثياب ، ويستعمله الرجل والمرأة على حد سواء ، غير ان عباءة الرجل تختلف في الشكل وفي المادة المصنوعة منها عن عباءة المرأة .

والعباءة لباس عربي معروف منذ القدم ، وقد جاء ذكرها في شعر ميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد بن معاوية في قصيدة لها قالت فيها :

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني
أحب الي من لبس الشفوف

والعباءة ضرورة واكتمال للزي العربي ، وهي تقي من حرارة الشمس اللافحة في الصيف ، وبرودة الشتاء القارس ، ويكثر استعمالها في المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين والامارات العربية المتحدة كلباس رسمي يرتديه رجال الدولة والاعيان وكبار شخصيات البلاد كما انه يدل على الحشمة والوقار .

وقد اشتهر بالاحساء في هذه الصناعة بعض الأسر حيث ورثها أفرادها أباً عن جد وتمرسوا فيها ، وكانت مصدر عيشهم ومن بين هذه الأسر ، أسرة أبو علي ، والهلال ، والعليو ، والحرز والبن خضر ، والبن شيخ ، والمزيدي ، كما اشتهر ، بحياكة التخريج القصبي أو الحريري الذي تحلى به العباءة والمعروف باسم الحياطة ، أسر منها الحرس ، والبقشي ، والرشيد ، والماص ، والسماعيل ، والبوشل ، والبنعلي ، والشواف ، والعوسي . وهناك مناطق مشهورة في الاحساء بهذه الصناعة ، ففي مدينة

الهفوف ، يوجد فريق النعاثل الشرقي ، والنعاثل الغربي ، والرفعة الشمالي ، وفريق الشعبة والمقابل والسياسب بالمبرز .

توارث الصناعة

كما أشرنا سابقاً، كانت صناعة العبي في هذه المنطقة يتوارثها أفراد الأسر عبر الزمن ، اذ نجد كل أو معظم أفرادها كانوا يمارسون هذه الصناعة . ولم يكن الأمر مقصوراً على الرجال فقط بل كانت النساء أيضاً يزاولن هذه الصناعة أو بعض أجزائها .

وكان الآباء يعلمون أبناءهم هذه المهنة في وقت مبكر من سنهم ، رغبة منهم في اكسابهم تلك المهنة ، لتكون مصدر رزق لهم . غير ان الأمر قد اختلف في الوقت الحاضر عما كان عليه في الماضي وذلك بتوفر سبل العيش المتعددة ووجود المدارس التي أصبحت تضم الأجيال الناشئة .

مراحل تطور صناعة العبي

مرت تلك المهنة بظروف ومراحل عديدة ، أدت في النهاية الى تطوير تلك الصناعة وتحسين مستواها ، اذ ان صناعة العباءة الواحدة « المشلح » بالطريقة التقليدية في مختلف مراحلها تحتاج الى ما يقرب من أربعة أيام يقوم بها عامل ماهر واحد . وهذا العمل اليدوي لا مكان للآلة فيه ، سواء كان ذلك في عملية الحياكة « النسيج » أو في عملية الخياطة . فالغزل مثلاً كان يعمل في السابق من أصواف الأغنام المحلية ، وتغزل محلياً بالأيدي بواسطة المغازل النسائية القديمة . فالنساء يقمن بالغزل ، والرجال يقومون بالنسيج اليدوي على آلات يدوية مصنوعة من أخشاب أقلام القصب وخيوط وحبال كلها من

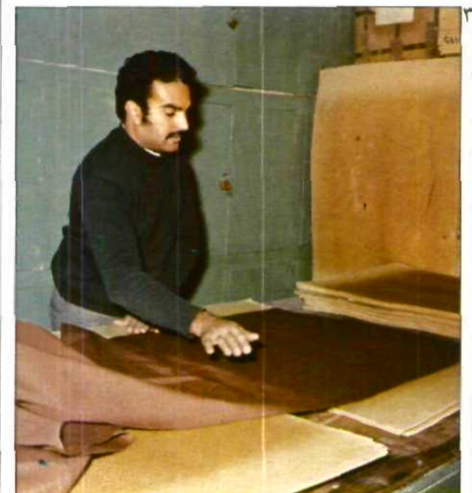
١



٢



٣



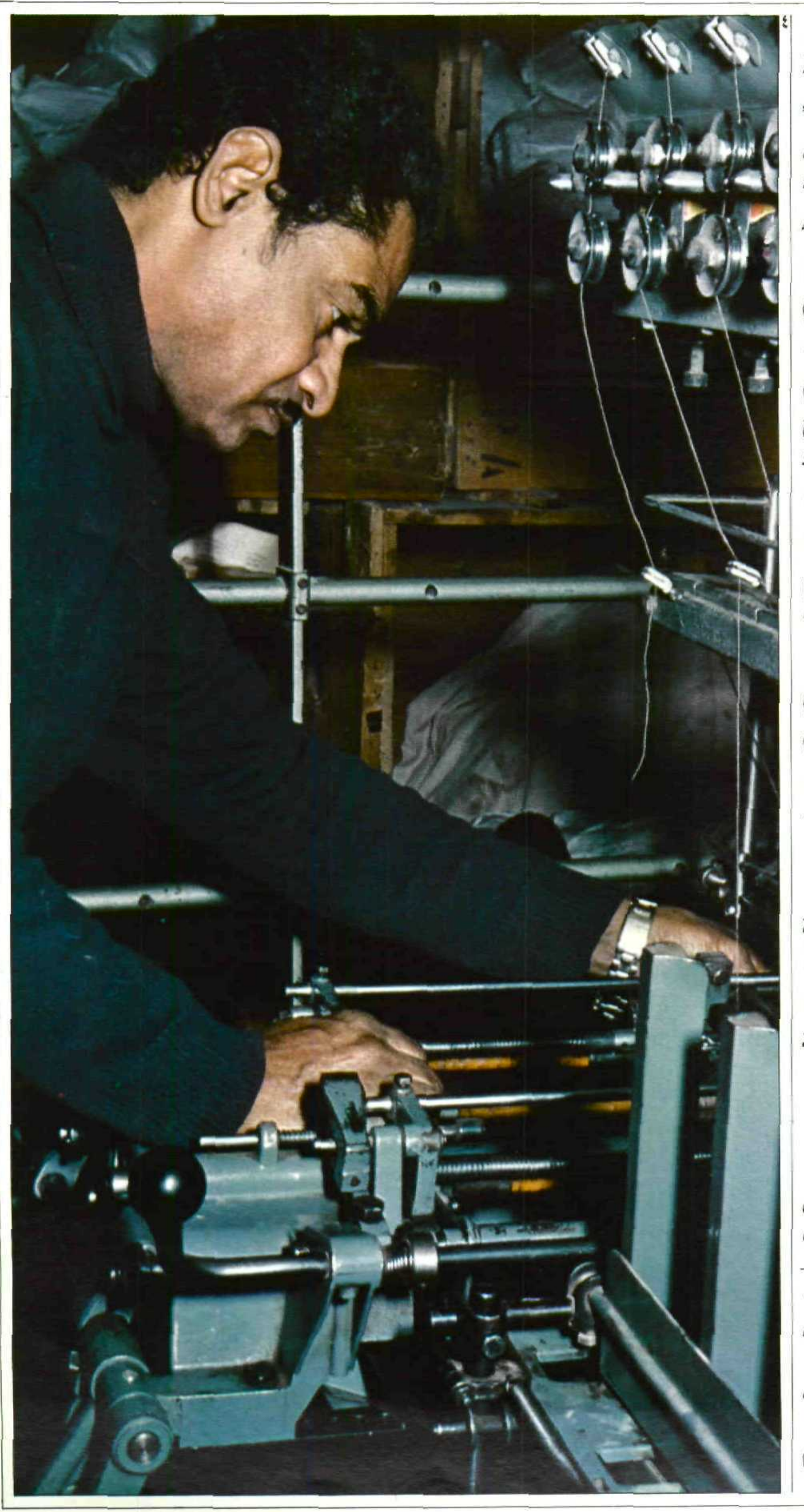
صنع محلي ، وتتشكل من أدوات كثيرة تبلغ مائة وستة وثمانين نوعاً ، وأسماؤها كثيرة تتطور وتتغير بتطور الزمن ، وكانت الألوان الغالبة في هذه الصناعة هي الأسود ، والبني ، والبدري ، والذي يعرف الآن بالسكري .

وأخذت الصناعة تتطور شيئاً فشيئاً مما دفع بأهل الصناعة وتجارها الى استيراد خيوط الغزل من العراق ، وخوزستان في ايران . وتمتاز الخيوط المستوردة وبالذات اليدوية منها بألوان كثيرة ، بالاضافة الى نعومتها التي تفتقد اليها الأصواف المحلية مما مكن أهل المهنة من صناعة المشالح الملونة الشتائية المعروفة بالشمال ، والخفيفة الملونة المسماة بالدورقي ، كما كانوا يستوردون الوبر مغزولا من مناطق أخرى في ايران مثل أبو شهر ، لتصنيعها بالاحساء وأجود أنواع العباءات هي تلك المصنوعة من هذه الخيوط .

وحدث أن بعض أرباب تلك الصناعة قد هاجر الى العراق وسوريا ، ونقلوا معهم تلك الصناعة ، وكان انتقال تلك الصناعة الى سوريا قد اكسبها استخدام الآلة بشكل واسع النطاق ، وأخذت أذواق الناس تتجه نحو العباءة ذات الوبر السوري ، بدلا من الوبر الايراني ، وامتلأت أسواق العبي في المملكة بهذا النوع من العبي حيث يستورد منه كميات كبيرة ، إما على شكل قماش ، أو على شكل مخيط جاهز للاستعمال ، ونتج عن ذلك آثار سلبية اذ أخذ سير صناعة العباءة الوطنية القديمة في الاحساء يتجه الى الركود فساءت بذلك حال أصحاب هذه الصناعة .

مصنع النسيج

بعد موجة الركود التي أصابت صناعة العبي في الاحساء ، أدرك بعض



٤

كبار محترفي هذه الصناعة الأسباب التي كانت وراء هذا الركود ، فهبوا لانقاذ صناعتهم ، والتفكير في حل يعيد للاحساء شهرتها القديمة بهذه الصناعة ، مستفيدين من التطور الحديث في هذه الصناعة وأسسوا مصنعهم الفني في عام ١٣٨٣ هـ الذي ينتج حالياً أجود وأجمل أنواع المشالح الوبرية ، والصوفية ذات الأحجام المختلفة ، والمتناسبة مع فصول السنة . وقد افتتح المصنع الذي يحمل اسم « شركة النسيج الوطنية » رسمياً بتاريخ ٢١ / ١ / ١٣٨٥ هـ . وقد تم استيراد جميع مكائن النسيج ، والسدى ، وآلات اللحمة ، والأدوات الأخرى ، من ألمانيا ، ما عدا المكابس فقد تم استيرادها من سوريا . وبهذا استعادت الاحساء شهرتها في هذه الصناعة ، وتحقق لمحترفي تلك الصناعة طموحاتهم بفضل تكاتفهم ودعم الدولة لصناعتهم الوطنية ، بتقديم كافة التسهيلات التي تقدمها عادة لمثل هذه المشاريع الوطنية .

طاقة المصنع

ويحتوي المصنع على ثماني عشرة آلة للنسيج ، وآلة واحده للسدى ، وأربع آلات لتعبئة مواسير اللحمة ، وآلتين للف كونات الخيوط ، وأربعة مكابس .

مراحل العمل

يستورد الصوف مغزولا على شكل « كبات » من الخارج ، ثم تركب

---

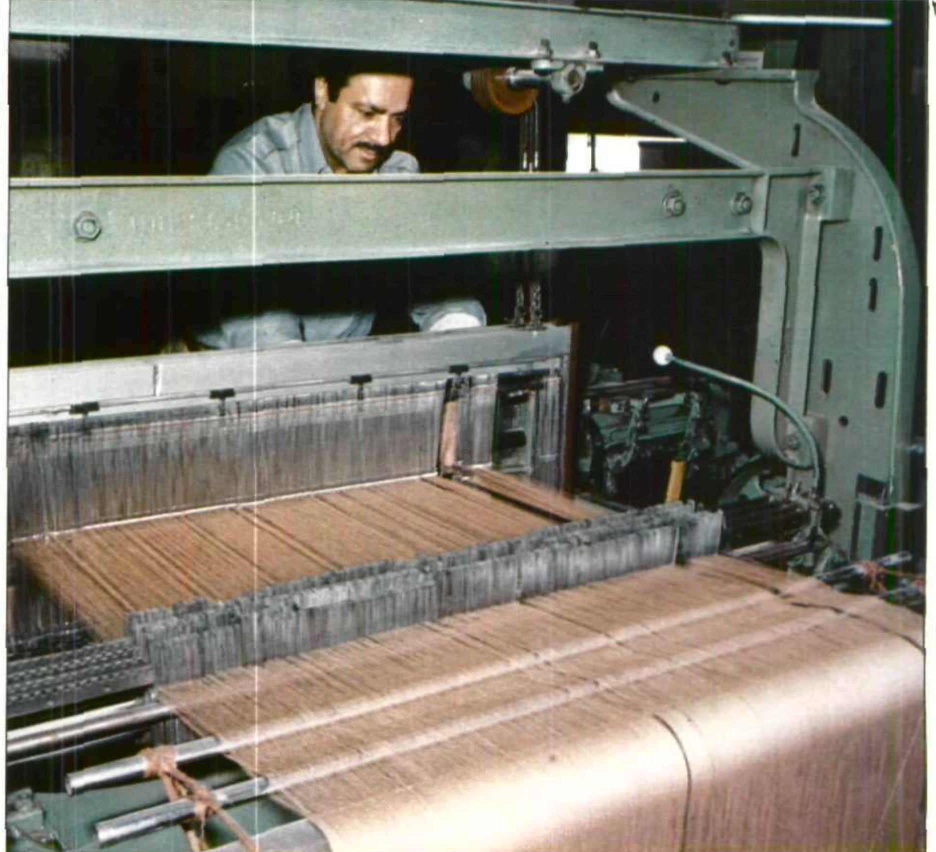
١ – «المشط» و «الدرأ» و «النير» في آلة النسيج .

٢ – وظيفة المكابس هي انهـا تكسب القماش بريقاً ولمعاناً .

٣ – فني يقوم بتوزيع القماش بين ورق خاص لادخاله في احد المكابس .

٤ – عملية تعبئة مواسير اللحمة بخيوط الغزل يتم انجازها آلياً في المصنع .





١ – مشلح جاهز للبيع بعد أن مر بمراحل الغزل ، والنسيج ، والخياطة .
٢ – خيوط السدى في احدى آلات النسيج .

« الكبات » على المنصب ، وترسل خيوطها الى آلة السدى ، وفي البداية يحدد طول السدى المطلوب ثم تشغل الآلة فتلف « شلاّت » السدى ثم ترسل بعدئذ الى عاملين مختصين يقومان بتوقيعها على « الدرأ » و « النير » و « المشط » ومن ثم ارسالها الى آلة النسيج .

ويصنع النسيج عادة من التقاء السدى باللحمة ، ففي الوقت الذي يجرى فيه اعداد السدى يكون هناك فنيون آخرون يقومون باعداد مواسير اللحمة ، اذا ما تم ذلك ، التقت اللحمة بالسدى في آلة النسيج ، وخرجت قطع قماش مختلفة الأشكال ، والألوان ، والأحجام ، حيث يتم تنظيفها وغسلها حتّى اذا ما جفت ، أرسلت للمختصين ليقوموا بكيها ، ثم توضع في مكبس خاص للضغط مع الحرارة ، ليكتسب القماش نعومة ولمعاناً ثم يحفظ في مكان نظيف جاهزاً للتسويق .

هذا فيما يتعلق بتطور انتاج القماش اللازم لصنع العباءة . أما بالنسبة للخياطة فقد تطورت خياطة العباءة ومرت بأدوار وأطوار مختلفة ، منها الخياطة بالحرير الأحمر للرجال ، مكسر وحلج ، ومنها الخياطة بالحرير مكسر وحلج من لون قماش العباءة ، ويستعمله كبار السن من الرجال ، يخاط بعد ذلك بالقصب النعيمي الأصفر ، والأبيض ، ومن ناحية أخرى ، استخدم القصب « السورتي » ، وقد برع العديد في الخياطة وتفننوا فيها حتّى أصبحت خياطة السورتي تنحصر في نوعين : السورتي ، والمنديلي ، ويستورد القصب من فرنسا ، وهو من الفضة المموهة بماء الذهب ويستعمل للمشالح الرجالية ، ولا سيما كبار السن الذين يرتدون العباءة المخيطة

بالمكسر سواء أكانت من القصب ، أو من الحرير .

وأما عباءة المرأة ، فكانت تخاط قديماً بحلزون أحمر ، أو حلزون زري ، ثم تبرج ، وتحسن « بالعمايل » المصنوعة من الزرى .

أما في الوقت الحاضر فالعباءة تخاط بالبريسَم الأسود ، أو بخيوط الشد ، أو النايلون ، وبعضها يطرز بالقيطان الصغير الخفيف ، والشلش . ويستورد القماش الخام للعبي من سوريا ، واليابان ، وسويسرا ، ومن أنواعه الحبارى والنايلون والحرير .

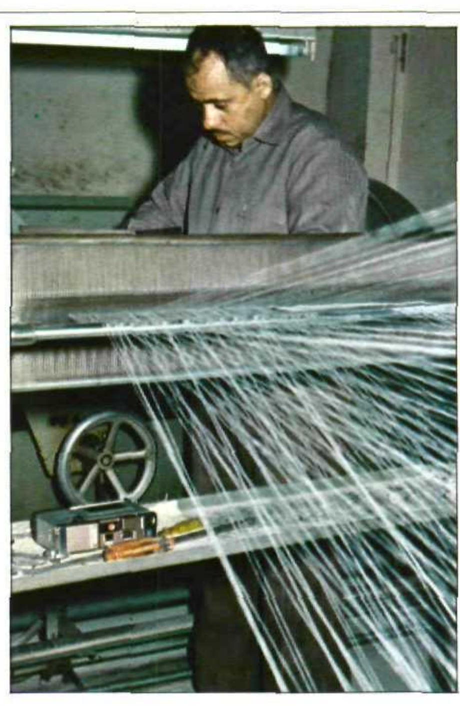
مراحل انتاج العباءة

تمر العبــاءة بمراحل عديدة حتى تصبح في يد المستهلك ، فالمراحل الأساسية لصناعة العباءة ثلاث :

المرحلة الأولى : وتنحصر في شراء الصوف من الأسواق المحلية ، وتنظيفه وغزله بالمغازل اليدوية .

المرحلة الثانية : وهي مرحلة الحياكة والنسيج ، وتشمل تحويل الخيوط الى قماش حيث يجزأ الى وحدات مختلفة القياس ومتنوعــة الألــوان ، ومتعددة الاحجــام . فالحياكة هي الأسلوب التقليدي الذي بواسطته يتــم انتــاج القماش ، ويكاد هذا الأسلوب يتلاشى ، حيث أن العاملين فيه قلة ، وذلك لما يتطلبــه من جهد ووقت كبيرين ، وقد حلت مكانه الآلة الجديدة وهي آلة النسيج الحديثة في مصنع النسيج الوطني . وتلي عملية انتاج القماش .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة الخياطة ، ويمارسها خياطون محترفون يقومون بتفصيل القمــاش حسب المقاس المطلوب ، وخياطته بالابرة اليدوية ثم يطرز بالــزري والقيطان الخفيف والقصب .



آلة السدى في مصنع النسيج بالأحساء .

التسويق

ويعيش على تجارة العبي كثيرون ، فهناك من يقوم بعملية استيراد الغزل والصوف قديماً ، وجلبه للصناع ، وآخرون يقومون بتسويق العبي داخل المملكة أو خارجها ، ومنذ زمن غير بعيد كانوا يستوردون قماش العبي للنساء وللرجال ، ويوزعونه على خياطين معروفين يتعاملون معهم باستمرار ، بأجر معلوم لكل عباءة يخيطونها ، أو بأجر يومي . ويقوم التاجر ببيعها في أسواق الرياض ، أو تصديرها الى بعض دول الخليج مثل الكويت ، وقطر ، والبحرين ، وهناك من يقوم ببيع انتاجه في الاحساء ، غير انهم يتعرضون الى فترات ركود وكساد .

وبصفة عامة يمكننا أن نقول : ان تجار العبي ومحترفي الخياطة كانوا يتمتعون بدخل مادي جيد آنذاك ، دون غيرهم من العاملين في الحياكة ، بل ومن العاملين في المهن المختلفة . أما اليوم فيقوم مصنع النسيج بتسويق انتاجه في الداخل والخارج ، فقد افتتح معرضاً له في سوق الهفوف لعرض وبيع منتوجاتــه المختلفــة الألــوان والأنواع والمقاسات وذلك طوال أيام الأسبوع . كما أن المصنع ذاته يقوم بالبيع أيضاً مباشرة للزبون الذي يحضر الى المصنع ، كما يوجد له عملاء من تجار العبي في الكويت وقطر والبحرين وأبو ظبي يمدهم بحاجتهم مما ينتجه .

الصناعة تنتقل إلى خارج المملكة

لقد هاجر بعض أهل هذه الصنعة الى البلاد العربية كما سبق ذكره ، وكانت الأماكن التي استقطبتهم هي البصرة في العراق ، والكويت ، وسوريا . . ونقلوا معهم خبرتهم ومهنتهم وعلموها لغيرهم . وبهذا كان لهم دور في نقل تلك المهنة الى بعض الدول العربية ، الأمر الذي أدى الى تطويرها في سوريا بادخال الآلة اليها . . ومن ثم انعكس هذا التطور على أبناء الاحساء المقيمين بها حيث استفادوا منها وأدخلوها الى منطقتهم بغية تطويرها .

أنواع العبي والمواد التي تصنع منها

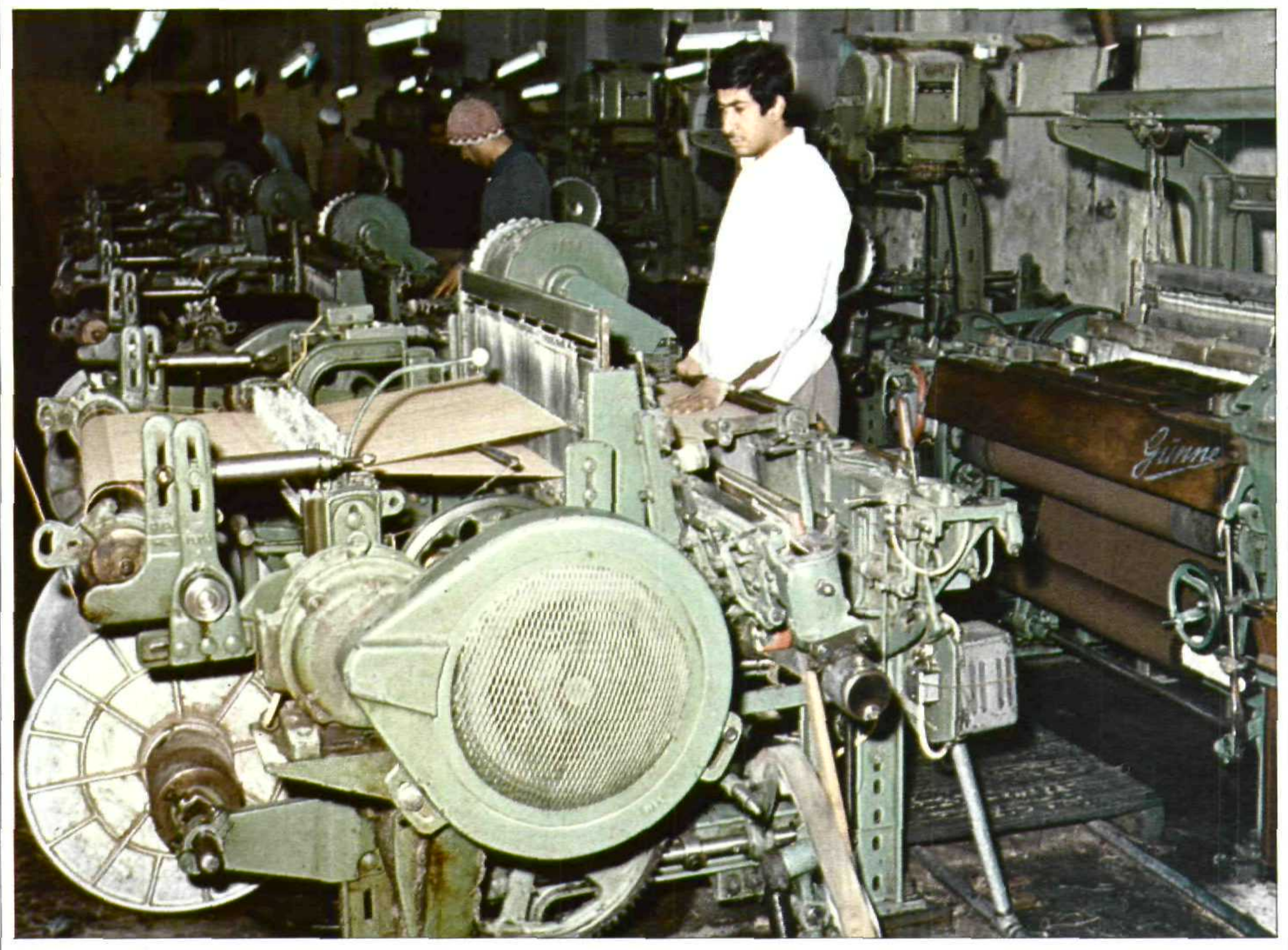
وعباءة الرجل قديماً تصنع من الغزل أو القماش ، وأصناف الغزل ، هي : وبر طبيعي بألوانــه الطبيعيــة ، أو صوف الأغنام ، أو نوع يصنع من « الحيش » ، ويكون شتويا وربيعيا وخريفيا .

وأمــــا أصناف القماش : فهي البدارى ، والنجفي ، والوبر المتين ، والصوف الخفيف ، ويختلف سمك خيط كل نوع ، ويتدرج من الخفيف الى السميك ويكون له اسم في كل نوع .

وتصنع عباءة المرأة أيضاً من أصواف الأغنام المحلية ، وتسمى « البرقاء » ،



تبدو اللحمة في اليد اليمنى للحائك ، وقد اقترب النسيج من الاكتمال .



آلات النسيج التي يضمها مصنع النسيج الحديث في الاحساء تحول خيوط اللحمة والسدى الى قماش .

تصوير : علي عبدالله خليفة

و « المزوية » ، و « المدخل » وجميعها شتوية ، رغم اختلاف سمك الغزل والألوان في الماضي ، أما في الوقت الحاضر فهي تصنع من « الساتين » ، والحرير بأنواع مختلفة . وهناك أنواع أخرى مثل الحبارى ، والنايلون ، وجميعها تستورد اقمشتها من الخارج .

كما تستورد العبي النسائية في الوقت الحاضر جاهزة للاستعمال ويتم خبنها في الاحساء ، حسب المقاس المطلوب ، كما أن بعض العبي يأتي على شكل عادي ، وهنا يضاف اليها القيطان الخفيف . . . والشلش .

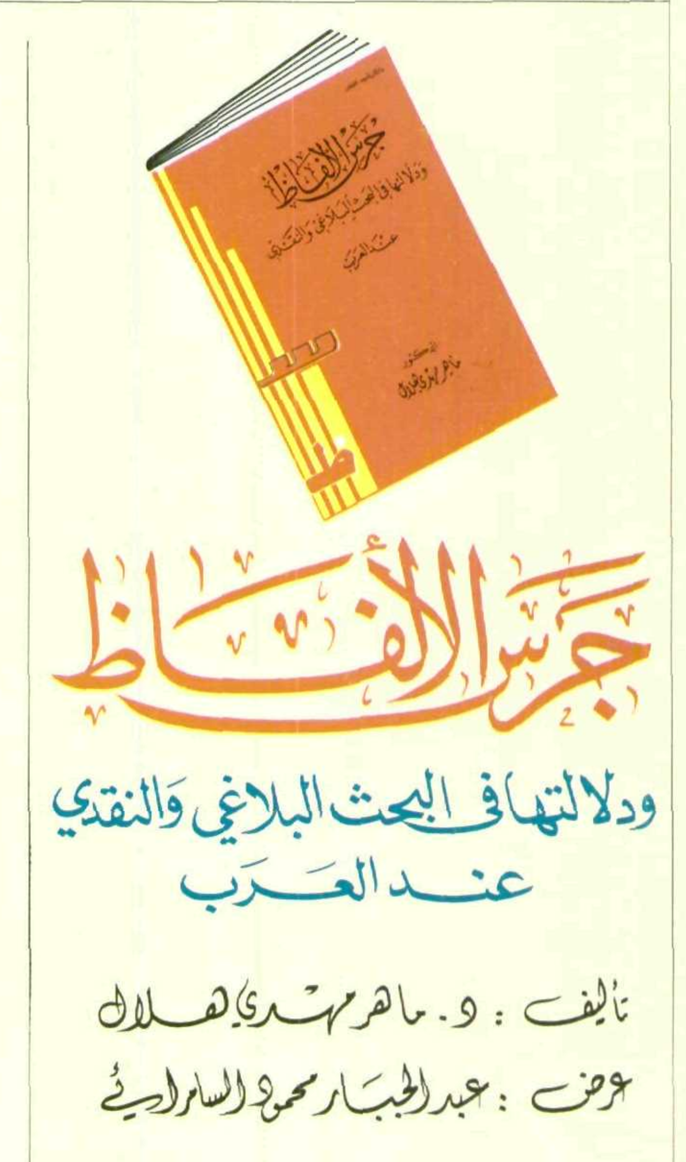
تأثر محترفي الصناعة بالتراث الشعبي

ومما يلفت الانتباه أن الخياطين بمختلف حرفهم لهم بعض الاهتمام بالتراث الشعبي ، فهم ينشدون الشعر الشعبي ، ويروون القصص ، والحكايات الشعبية في أوقات سمرهم ، وفي رحلاتهم .

كما انهم يرددون اثناء ممارسة أعمالهم ، بعض ألوان الفن الشعبي ، مثل الهزيج ، والعتابا ، والبوذية . . وبعض الحكم والأمثال الشعبية . والواقع ان كل فئة من فئات المجتمع لها اهتمامها وولعها بالفن ، من شعر وقصص وحكم ، وأمثال وأغان شعبية . فالبناؤون لهم أناشيد ، وأغان خاصة يرددونها ، وكذلك الأمر بالنسبة للفلاحين وغيرهم من أهم الحرف .

غير أننا نلاحظ تأثر الخياطين بالتراث واهتمامهم به أكثر من غيرهم ، وقد يكون مرد ذلك الى طبيعة مهنتهم ، فهي تتطلب بالضرورة الدقة ، والتأني والصبر ، والعناية الفائقة بالمظهر الجميل للعباءة ، ولذا يلجأون الى التراث الشعبي لما فيه من صور جميلة ، ومعان دقيقة ، وتعبير رقيق ، لطرد الملل وتجديد النشاط وذلك لما تمتاز به حرفتهم من لمسات فنية أوحت اليهم بحب الفن والاهتمام بالتراث الفني الشعبي □

عمر محمد العمر — هيئة التحرير



جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب

تأليف : د. ماهر مهدي هلال

عرض : عبد الجبار محمود السامرائي

تمهيد

عرف العرب بالفصاحة وسحر البيان ، وجودوا كلامهم حتى وصفوه ببرود العَصب والحلل والديباج ، وأخذوا بسحره حتى شبهوه بنغمة الأوتار ، وناظروا صياغة الكلام بعقد اللآلىء وصبغة الألوان .

ولما تفقدوا مكامن هذا السحر في كلامهم وأدبهم ، لم يجدوا غير هذه الألفاظ الدالة على المعاني الكامنة في صدورهم ، ولم يجدوا في مفاضلة الألفاظ غير قدرتها على التأثير في سامعيها ، فشغلتهم قضية اللفظ والمعنى ، واحتلت مكاناً مهماً من بحثهم النقدي والبلاغي فكان ذلك مدعاة لكل باحث أن يعنى بتتبعها واستجلاء قيمها .

ولأن الجرس قيمة حسية في الألفاظ ، فهو شديد الخفاء ، ولكنه أسرع نواحي الجمال في الشعر الى نفوسنا ، فهو نوع من الموسيقى يوحي الى الأذهان ، أهمية الحس المرهف للناقد في تمييز جرس الألفاظ والحكم في قيمها التعبيرية وقدرتها على الايحاء والتصور .

مدخل الى دراسة الجرس

ان أصحاب المعجمات قد تجاوزوا في حديثهم عن المعنى اللغوي للكلمة (جرس) عوارض اللفظة الوصفية الاصطلاحية ، فقارنوها بالنغم وحداء الحادي الذي لا يكون الا بنغم وبذلك انصرفت من معناها الحسي للصوت عامة الى معناها المجازي ، الذي هو نغم الكلام وحسنه . وبهذا المعنى أخذ النقاد البلاغيون في أحكامهم .

ولما كانت اللغة اداة التعبير المؤثر في الآخرين ، فالمفاضلة بين الألفاظ ترتبط أساساً بذاتية الانسان ، وتكوينه الشعوري « ونحن بالكلمات نلم بجميع ما يتصل بساحة شعورنا ، وليست الكلمات اشارات مجردة واصطلاحية فحسب ، بل بوسعها أن تنشىء بجرسها ورنتها وايقاعها لحناً مستقلاً عن مدلولها الخاص . . . وهي تملك ايحاءات أخرى عديدة ، اذ يطلب اليها بعض المؤلفين تبعاً لكتابتها ووقع جرسها خاصة » . فالكلمة ليست صورة ، ولا يمكن أن تكون صورة جامدة ، وانما هي : صوت يلفظ مما يجعلها تتصل بالموسيقى . وعلى هذا فاللغة « تحرص على ائتلاف الجرس ، ويسر التعبير ، وصفاء الرونق ، وخفة الأداء ، فهجرت كل خشن ، وتجافت عن كل ما يؤذي حركات الصوت ، وتردد النفس » .

اذن ، الجرس – بالمفهوم النقدي والبلاغي – هو : قيمة جوهرية في الألفاظ وبنائها اللغوي ، وهو أداة التأثير الحسي بما يوحيه من اتساق اللفظة وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير الأدبي ، والذي يشبه الى حد بعيد طرب الانسان باللحن الموسيقي ، « فاللفظة قبل كل شيء صوت ينطق به الانسان ، وما الكلمة المكتوبة الا اشارة تستخدمها العين وترمز الى الكلمة الملفوظة التي تتوجه الى الأذن . وكان من الطبيعي أن

يقلد النطق البشري صوتاً حقيقياً ليفصح عنه ، كما يحافظ الأدب ، وهو فن لفظي ، على روابط متينة وقديمة تربطه بالموسيقى » . ولذلك نجد أن أغلب الدراسات التي تعرضت للجرس كانت تبحث أساساً في موسيقى الشعر ، وذلك بسبب اقتران هذه الموسيقى باللفظ ، ولكن الجرس ليس ايقاع الوزن العروضي ، بل هو النغم الذي يضفي على وحدات البحر العروضي قيم التعبير ، فالايقاع الموسيقي في الشعر « يتألف جانبه الظاهري من الوزن الخاص — وهو البحر — وجانبه الباطني من جرس الألفاظ » وان الانفعال بالتعبير الأدبي « يتبلور في صورة لفظية وايقاع موسيقي » .

اللفظ والمعنى عند النقاد والبلاغيين العرب القدماء

بقدر ما انشغل النقاد والبلاغيون القدماء في وضع مقاييس الترجيح بين اللفظ والمعنى ، أو الشكل والمضمون ، أو الصوت والدلالة ، أو المبنى والمعنى كما تنعتها الدراسات الحديثة ، فان الغاية الأساسية التي بنى عليها القدماء هدفهم من هذه القضية ، فنية النشأة والهدف . وعندما اختلفت الغايات تشعب الهدف الى أدبي وديني ، ودخلت قضية اللفظ والمعنى غمار المناجزات الكلامية ، ولعبت الأقوام الداخلة في الاسلام وطوائفها دوراً كبيراً في بلورة الفكرة الى اتجاهين متميزين ، اتجاه اللفظ واتجاه المعنى .

ومن المفيد هنا أن نذكر رأي ابن خلدون في قيم الألفاظ والمعاني في العبارة سواء في النثر أو النظم ، قال : « اعلم ان صناعة الكلام نظماً ونثراً انما هي في الألفاظ لا في المعاني . وانما المعاني تبع لها وهي أصل ، فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما تحاولها في الألفاظ . . . وأما المعاني ، فهي في الضمائر ، وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى صناعة ، وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة » .

ويصور ابن خلدون الألفاظ بالقوالب للمعاني فيقول : « فكما ان الأواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء ، كذلك جودة اللغة وبلاغتها » .

واذا كان القدماء قد جعلوا اللفظ والمعنى مدار بحثهم ، فلأنها مقومات العبارة الأدبية . ولعل أبا هلال العسكري حينما نظر الى كل هذه الأقوال التي تخص اللفظ والمعنى لم يجد ما يعزز موقفه من مجمل الآراء فيها الا ان يقرر مفهوماً اصطلاحياً يميز فيه اللفظ عن المعنى ، فخص اللفظ بالفصاحة ، والبلاغة بالمعنى ، وهو تقرير لم تتضح حدوده فيما بحثه ابو هلال في كتاب — الصناعتين — لأن المصطلحين عنده يؤديان معنى واحداً . ولكنه مهد السبيل لابن سنان وابن الأثير ليخصا اللفظ بنعوت ذاتية تميزه عن غيره من الألفاظ التي قد تستعمل بمعناه من خلال حديثهم عن الفصاحة .

الفصاحة والبلاغة بين اللفظ والمعنى

ان لفظة الفصاحة من الاصطلاحات الوصفية للكلام ، كانت دائرة على ألسنة العرب قبل تحديدها واخضاعها للمفاهيم النقدية والبلاغية . .

ولو عدنا الى معاجمنا اللغوية ، لوجدنا معنى الفصاحة يكاد ينحصر في الابانة اللفظية للمتكلم ، فالفصاحة : تعني البيان ويقال فصح الرجل فصاحة فهو فصيح ومن قوم فصحاء وفصاح وفصح ، وكلام فصيح : أي بليغ ، ولسان فصيح : طلق . وفصح كلامه افصاحاً وأفصح تكلم بالفصاحة . . ويقال أيضاً : لقد فصح فصاحة وهو البيان من اللسان والبلاغة . والفصيح في اللغة ، المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد القول من رديئه . واقتران لفظة الفصاحة بالبيان هنا يقربها من مصطلحها الفني الذي دار في كتب البلاغة ويقصد به حسن الألفاظ ورقتها في التعبير الأدبي أو بيانه ووضوحه ، وليس أدل من ذلك على ما قاله صاحب القاموس المحيط : « الفصاحة : البيان . . . واللفظ الفصيح ما يدرك حسنه بالسمع » . وهو انما يعني هنا ان القدماء تجاوزوا الدلالة اللغوية للفظة الفصاحة الى دلالتها الاصطلاحية مقترنة بالبلاغة .

وترتبط لفظة الفصاحة باللسان في قوله تعالى على

لسان موسى عليه السلام : « **وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني** » (١) .

واذا ما كانت الفصاحة شطر البلاغة وأحد جزئيها كما ذهب اليه « ابن سنان » فذلك يعني أن الفصاحة قد أصبحت قيمة فنية في التعبير البليغ ، وقيمة نقدية في التعبير الأدبي الذي تتوخاه البلاغة .

جرس الألفاظ

ان اقتران الألفاظ بالصوت وسيلة الانسان التعبيرية في الكلام ، والتصويت سمة يشترك فيها الانسان والحيوان ، الا ان الانسان قد استطاع بتقطيعه هذا الصوت ان يحوله الى اصطلاحات تعبيرية . أصبحت قادرة على ايصال تجاربه الشعورية وعواطفه الذاتية الى الآخرين ، ثم ارتفع بها من التفاهم الى التأثير والسيطرة الشعورية على التحكم بالعواطف .

ويشكل الجرس خصيصة ذاتية محسوسة في بناء اللفظة من خلال تباين أجراس حروفها التي بنيت عليها ، وتشكل هذه الحروف في ائتلافها وتنافرها نغم الألفاظ وقيمها الحسية . مفردة كانت ، أو منظومة في سياق التعبير الأدبي . وكما تتغير أحوال الألفاظ في صيغها المختلفة تتغير طبيعة أنغامها ، فمن الألفاظ ما هو حس الجرس في حالة الافراد ، غليظ الجرس ثقيل في حالة التثنية أو الجمع ، وكذا حاله في أوجه الاشتقاق الأخرى ، ويؤكد ذلك لنا استخدام صيغ بعض الألفاظ في التعبير أكثر من غيرها والتي هي أدل على المعنى المقصود . وفي هذا قال الجاحظ : « ولفظ القرآن الذي عليه نزل انه اذا ذكر الأبصار لم يقل الاسماع ، واذا ذكر سبع سموات لم يذكر الأرضين . الا تراه يجمع الأرض أرضين ، ولا يجمع السمع أسماعا » .

الجرس في الألفاظ المركبة

ان تركيب الألفاظ واستعمالها في سياق التعبير الأدبي خاصية فنية ، حيث أن القيمة الذاتية للفظ تكتسب أهميتها من خلال اتساقها وتلاؤمها مع سائر الألفاظ . فوضع اللفظة موضعها بين الألفاظ يضفي عليها مزية الحسن ، كما أن اختلال موضعها وتنافرها مع ما يجاورها من الألفاظ ، يجعلها ثقيلة غير مقبولة .

وتكتسب الألفاظ في تركيبها نغمة ذاتية محسوسة وتكون العبارة المؤلفة ذات طبيعة متميزة عن سواها من أنواع الكلام ، « فمن الكلام الجزل والسخيف ، والمليح والسمج، والحسن والقبيح ، والخفيف والثقيل ، وكله عربي ، وبكله قد تكلموا » كما يقول الجاحظ . فتأليف الألفاظ ووضعها في سياق النظم المعبر أشبه بايقاع الألحان ، والمؤلف الحاذق هو الذي يصرف ألحانه في وجوهها المختلفة .

ومن نعوت اللفظ الدائرة في كتب النقد والبلاغة . الجزالة والسلاسة ، وهي ادخال النعوت في اصطلاح الجرس ، فقد عدها الجاحظ من أصناف الكلام المميزة ، وذكر المبرد ان مما يستحسن من الشعر انشاده الى جانب صحة المعنى وجزالة لفظه .

الجرس وموسيقى الألفاظ

يشكل التلاؤم الصوتي بين الألفاظ ضرباً من التناغم أحسه القدماء في بحثهم لتركيب الحروف ، فميزوا ما يتآلف من الحروف وما يتنافر ، ووجدوا لهذا التناغم بين الألفاظ « ايقاعاً يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه » . وهذا الايقاع في الشعر يماثل اللحن في الموسيقى ، ومما يفضل به الشعر ان الألحان . . . لا تتهيأ صنعتها الا على كل منظوم من الشعر ونزوع الشاعر الى هذا الايقاع المتناغم سابق لوعيه علم العروض والقوافي المدون ، وان جميع الشعر الجيد المستشهد به انما هو سابق لوضع هذه الكتب » كما يقول قدامة بن جعفر .

وهذه النسبة والتشاكل في التأليف مردها الى ما يصطلح عليه بالانسجام : « هو ان يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم ، بسهولة سبك ، وعذوبة ألفاظ ، وسلامة تأليف ، حتى يكون للجملة وللبيت من الموزون وقع في النفوس ، وتأثير في القلوب ما ليس لغيره » .

وليس مصادفة بعد هذا ان يورد ابن رشيق القول : « ان الأوزان قواعد الألحان ، والأشعار معايير الأوتار » .

(١) سورة القصص – آية / ٣٤

وانظر كيف يتفقد أبو الطيب شعره بالغناء وهو الذي ملك ناصية الشعر ، فقد ذكر ان متشرفاً اطلع عليه وهو يصنع قصيدته التي أولها .

« جللا كما بي فليك التبريح »

وهو يتغنى ويصنع فاذا توقف بعض التوقف رجع بالانشاد من أول القصيدة الى حيث انتهى منها ، وكأنه يتفقد انسجام الألفاظ بما يوفره من تناغم في سياق الأبيات . فلا يعني الغناء لمجرد التصويت وانما اشباع هذا الصوت بالالفاظ المنظومة ليلتمس مواطن التلاؤم والتنافر في النظم . ولأن الصوت أظهر لجرس الحروف ، قال شاعر :

تغن بالشعر امـــا أنت قائلــــه
ان الغناء لهـــذا الشعر مضمار

دلالة الألفاظ :

لم تكن الالفاظ التي يطلقها الانسان أصواتاً محضة ، وانما هي أصوات دالة . « وهذه الأصوات التي تصدر عنا ليست هدفاً لذاتها ، وانما هي وسيلة نتخذها للتعبير عن الدلالات أو الخواطر التي تجول بأذهاننا » .

ولعل من أقدم الاشارات الى الدلالة الصوتية ، أو الذاتية ، ما قررة عباد بن سليمان الصيمري ، المعتزلي ، بقوله : « ان بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع ، قال : والا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجح » .

ويدلل ابن جني على الصلة الطبيعية في بناء اللفظة بقوله : « وانما جعلت الألفاظ أدلة على اثبات معانيها لا على سلبها » . وقال : « ألا تراك حين تسمع ضربا قد عرفت حدثه وزمانه ثم تنظر فيما بعد ، فتقول هذا فعل ولا بد له من فاعل فتبحث حينئذ الى أن تعلم الفاعل من هو وما حاله من موضع آخر لا من مسموع الضرب . فدلالة الضرب لفظية مسموعة ، وانصراف الذهن للبحث عن الفـــاعل هو « دلالة معنويـــة والدلالة اللفظية في الكلام أقوى من الدلالة المعنوية » . قال: « ومن ذلك قولهم للسلم مرقاة بفتح الميم وللدرجة مرقاة بكسر الميم فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقي » .

وعلى الرغم من اختلاف دلالة الألفاظ على مدى العصور اختلافاً قد يصل الى أن تعني اللفظة عكس ما كانت تطلق عليه . . . « ولكن هذا كله لا ينفي المبدأ الأول وهو أن جرس اللفظ كان له حسابه في الدلالة ، وكان جزءاً في الاصطلاح الذي أنشأ المعنى اللغوي للفظه » .

الخاتمة

ان الهدف الذي حققه المؤلف في كتابه هذا ، هو الكشف عن القيم النقدية لجرس الألفاظ ودلالتها وما أشار اليه القدماء من حدود تلك القيم في بناء اللفظة مفردة ومركبة ، ومفاضلتهم بين الألفاظ في استعمالها الأدبي ، معتمداً الذوق والتعلل معاً في تنظير الشواهد .

لقد استخلص المؤلف ، ان قيمة الجرس ليست افادة لفظية فحسب ، وانما هي افادة معنوية أيضاً ، فيما يثيره من تصور ذهني ، وفيما تهيئه الألفاظ في ايحائها للمعاني من استجابة تأثرية لدى السامع ، تقترن بالاستحسان أو الاستهجان ، فكان أن اقترن التعبير بنظرة جمالية ، وفيه من خصائص علم الجمال ما في الأشكال المحسوسة المعبر بها عن شعور . وعلى هذا ، عمد المؤلف الى عرض قيم الجرس على مقولات علم الجمال التي أقرت أن : « قيم الألفاظ المعبر بها تشكل باعثاً على تذوق الجمال » □

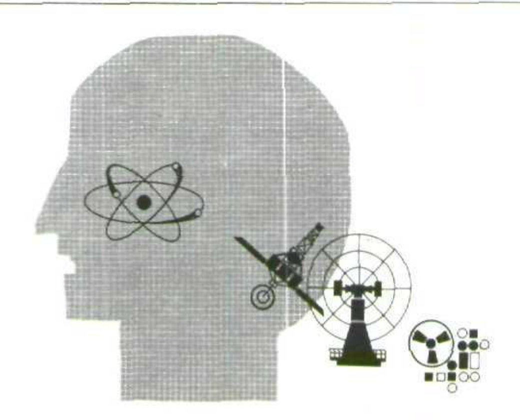
عبد الجبار محمود السامرائي – العراق

في ذمة الله

افتقدت « القافلة » في الأوان الأخير اثنين من كتابها المرموقين وأديبين من أدبـــاء الفكر العربي ، هما : محمد أبوالفضل ابراهيم ، وعلي أدهم ، اللـذان وصلا القافلة بانتاجهما الفكري على مدى عشرين عاماً .

لقد كانا ، رحمهما الله ، ممن أسهموا في تنشيط حركة تحقيق التراث . حيث حققا مجموعة كبيرة من أمهات الكتب والمخطوطات العربية . تغمدهما الله بواسع رحمته وجزاهما بقدر ما أسديا للضاد من خدمات جلال ..

وانا لله وانا اليه راجعون .



التكنولوجيا وأهميتها للدول المتقدمة والنامية

بقلم : توفيق ابراهيم الريس

ارتبط مفهوم التكنولوجيا بكل تغير طرأ على حياة الانسان نحو الرقي المادي والحضاري ، ولقد اجتهد أكثر الاقتصاديين والسياسيين والاجتماعيين في اعطاء تعريفات محددة تتفق في أغلبها مع وجهة نظرهم . فتعرّف التكنولوجيا بأنها « أسرار الصناعة والمهارات والمعرفة الفنية المختلفة اللازمة لانتاج السلع لانشاء المشروعات . وتعرّف بأنها » تعني تطبيق العلم الحديث على الانتاج ووسائله ، أي أنها تعني تطبيق كل ما هو مستحدث وجديد في مجال العلوم النظرية « وتعرف بأنها « احلال الطاقة الآلية محل الطاقة الانسانية في عملية الانتاج » وهناك تعريف آخر للتكنولوجيا أكثر عمقاً وشمولاً ، « بأنها تتويج لعبقرية الانسان الابداعية ، ولكن ابداعيتها تجلت في تكوين أعظم آلة انتاجية لا في تكوين أعظم مدينة اجتماعية عرفها الانسان حتى الآن » .

ان دور التكنولوجيا في التنمية الاقتصادية مهم وأساسي . ولو لاحظنا مراحل التطور الاقتصادي للدول التي تعتبر متقدمة الآن لوجدنا أن الظروف التكنولوجية كانت متقاربة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى أن التقدم التكنولوجي كان مواكباً لمراحل التطور الاقتصادي بل انه كان ناتجاً عن التطور الاقتصادي الذي أصبح في مراحل لاحقة عاملا أساسياً في التقدم والتطور الاقتصادي للدول المتقدمة .

وهذا لا ينطبق على الدول النامية لأنها في مراحل تطورها كانت خاضعة أو تابعة بصورة أو بأخرى لنفوذ الدول المتقدمة ، ومن ثم فلم يكن تطورها الاقتصادي أو التكنولوجي يتمتع بالحرية نفسها التي امتازت بها مراحل التطور الاقتصادي للدول المتقدمة ، الأمر الذي اعتبرته الدول النامية مسؤولا عن الفجوة الاقتصادية والتكنولوجية بين المجموعتين .

ويرى البعض من الباحثين الاقتصاديين ان الثورة التكنولوجية والتقدم العلمي سوف يبعدان الفجوة حتماً بين الاقطار المتقدمة والبلدان النامية . وفي هذا القول تكمن الحقيقة بارزة هي أن التقدم التكنولوجي يخلق الظروف اللازمة لحل المشاكل المادية التي يعانيها الانسان .

والبلدان النامية تعاني كثيراً من هذه المشاكل لأن اقتصادها في القارات الثلاث يعتمد في معظمه على التجارة الخارجية ، وفي مقدمتها النفط ، والزراعة . ولا يغيب عن الأذهان أيضاً أن حصة البلدان النامية قد انخفضت كثيراً من التجارة الدولية . فبينما كانت في سنة ١٩٦٠ تمثل نسبة ٢٥٪ ، هبطت في سنة ١٩٦٨ الى ٢٠٪ .

والدول النامية يمكنها الاستفادة من ثمرات الاكتشافات العلمية في المجالات التكنولوجية ولو مرحلياً . فالتكنولوجيا عنصر أساسي لتقدم هذه الدول وتطورها في المجالات العلمية .

واذا ما عرفنا أن ثلثي سكان العالم ، ومعظمهم من الدول النامية ، يتضورون جوعاً ومئات الملايين يعيشون في ظل ظروف سيئة ، فان الافادة من التقدم التكنولوجي المعاصر لمجابهة تلك الظروف أمر لا بد منه . ولعل من بين المهام الأساسية لتحقيق الثورة التكنولوجية في

البلدان النامية ، القضاء على التخلف الاقتصادي ، ورفع مستوى معيشة الفرد ، وايجاد اقتصاد وطني مستقل يستند الى صناعة وطنية متطورة ، وزراعة متقدمة ، وتنظيم جهاز الدولة ، وتهيئة العمال المهرة في مختلف أوجه الحياة الاقتصادية. فبلوغ الدول النامية المستوى العلمي والتكنولوجي المتقدم أمر ضروري لتوفير المستلزمات الأساسية لتحقيق نموها الذاتي وللمشاركة في عملية النمو الانساني .

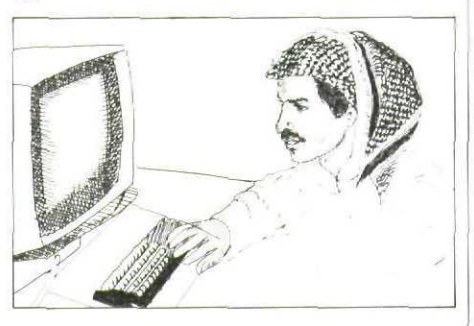
وعلى الدول النامية أن تكسر احتكار العلم باعتمادها على نفسها وتعاونها مع بعضها البعض وليس أدل على ذلك من تجربة اليابان حيث استطاعت تطوير علومها ودعم كيانها الصناعي معتمدة في ذلك على امكاناتها الذاتية ، فوصلت الى ما وصلت اليه من تقدم في هذا المجال .

اسلوب نقل التكنولوجيا

لا بد أن نشير الى كيفية حصول الدول النامية على التكنولوجيا أو بمعنى أصح ما هي الأساليب التي من خلالها يمكنها الحصول على التكنولوجيا من البلدان المتقدمة ؟ قبل الاجابة عن هذا السؤال ، موضع البحث ، تلزم الاشارة الى أن عملية النقل لا تعني محاكاة أو تقليداً صناعيا ، وانما يمكن أن تأخذ أبعاداً أخرى ثقافية واجتماعية وسياسية اضافة الى المحاكاة والتقليد الصناعي . فقدرة المجتمعات على تقبل التكنولوجيا الجديدة اذاً ، تتوقف على مقدار تكييف نفسها مع متطلبات تلك التكنولوجيا .

وبالرغم من تزايد اهتمام المؤسسات الدولية والاقليمية وحكومات البلدان النامية بموضوع نقل التكنولوجيا وفي محاولات توفير الخبراء والمشاركة في المعلومات عن التكنولوجيا فقد ظلت ثمة بدائل محدودة لتطوير الطاقة التكنولوجية الذاتية .

ولا بد أن نشير هنا الى بعض الأساليب التي يرى الاقتصاديون انها مهمة لحصول الدول النامية على التكنولوجيا منها استيراد التكنولوجيا على شكل مكائن ومعدات وغيرها من الأجهزة الرأسمالية ، وهذه الوسيلة تمكن الدول النامية من التصرف بالتكنولوجيا . وهناك أسلوب آخر يتمثل في الاستثمار المباشر عن طريق الشركات الدولية ، وهذا الأسلوب يختلف عن سابقه في ارتفاع



درجة التحكم ورقابة الشركات الدولية بالتكنولوجيا المستوردة . ثم هنالك أسلوب ثالث يتمثل بتراخيص الانتاج ، وهنا تتوقف درجة التحكم في التكنولوجيا على طبيعة الشروط الواردة في الاتفاق .

وبما أن أكثر الأساليب اتباعاً هو الاستثمار المباشر عن طريق الشركات الدولية ، فلا بد أن يكون هناك صراع بين موردي التكنولوجيا وبين الحكومات المضيفة من البلدان النامية . وعلى حكومات الدول النامية أن تقوم بتطوير التكنولوجيا المستوردة لكي تتناسب مع الظروف الخاصة بها ، وان كان في هذا شيء من الصعوبة في المدى القريب ان لم يكن مستحيلا . ومن ثم فليس ثمة بديل عن تطوير هذه التكنولوجيا لكي تناسب ظروفها وتوائم احتياجاتها . ويقع عبء هذا التطوير على الدول المتقدمة والنامية سواء بسواء — ولكن العبء الأكبر يقع على الدول النامية التي ينبغي أن تكون مستعدة لذلك .

فتطوير التكنولوجيا المستوردة يجب أن يكون شاملاً ومتكاملاً ، بمعنى أنه لا يصح التفكير في نقل التكنولوجيا في قطاع معين أو تطوير البحوث في نطاق علم معين ، دون النظر الى سائر القطاعات والعلوم ، وما يتطلبه ذلك من عملية اعداد الفرد وايجاد ادارة واعية وبرنامج محدد . الا أن لنقل التكنولوجيا آثاراً سلبية وايجابية . فالآثار الايجابية تتمثل في تنمية اقتصاديات البلدان النامية ونقلها الى مصاف الدول المتقدمة . اما الآثار السلبية فتتمثل في :

* البطالة : وقد أثار الاقتصاديون هذا الموضوع وقالوا ان استخدام الآلات الحديثة ووسائل الانتاج المتطورة المستوردة من البلدان الصناعية المتقدمة لن تسهم في حل مشكلة البطالة .

* اضطراب موازين المدفوعات : ويرجع ذلك الى زيادة المدفوعات التي تتحملها الدول النامية بشكل أتاوة لشراء حقوق الانتاج والعلامات التجارية ، كذلك استيراد الآلات وقطع الغيار ، وهي مدفوعات مباشرة وغير مباشرة . وليس هناك احصائية دقيقة خصوصاً فيما يتعلق بالنفقات غير المباشرة مما يجعل تقديرها امراً صعباً . وفي دراسة تقديرية لاحدى هيئات الأمم المتحدة قدرت النفقات المباشرة سنة ١٩٦٨ بحوالي ١٥٠٠ مليون دولار امريكي ، ويقدر أن ترتفع هذه النفقات بحوالي ٩٠٠٠ مليون دولار خلال السنة الحالية على افتراض ان معدل الانتاج الصناعي هو ٨٪ سنوياً .

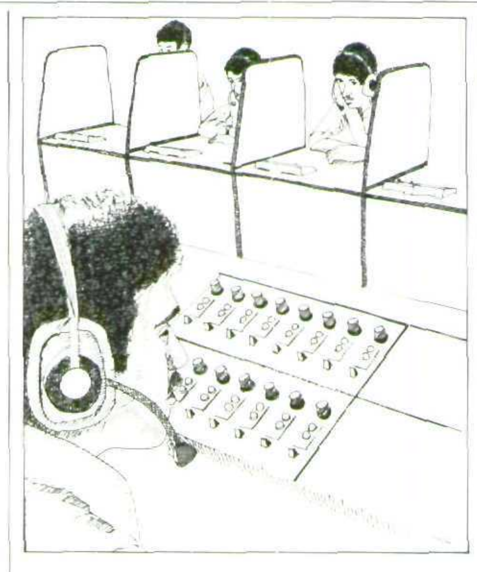
* عدم ملاءمة التكنولوجيا المستوردة مع ظروف البلدان النامية قد يؤدي الى عدم الاستغلال الكامل لكل امكانيات التكنولوجيا المستوردة لكونها متقدمة جداً ولعدم وجود عناصر فنية مدربة تستطيع أن تتعامل معها .

مشاكل نقل التكنولوجيا

ان التطوير الذاتي لا يعني بأي شكل من الأشكال تطوير المعدات والأجهزة المستوردة . بل يتعدى ذلك الى اجراء تغييرات في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بحيث تكون هنالك نقطة انطلاق أساسية لبناء القدرة التكنولوجية الذاتية . ويمكن الاشارة الى أن عملية نقل التكنولوجيا يتطلب رؤوس أموال تكون في متناول الدول النامية . دون ان يترتب على ذلك التزامات قد تكون في غالبيتها مجحفة في حق هذه الدول أو عوائق داخلية تحول دون القدرة على تقبل التكنولوجيا . غير أن هناك مشاكل متعددة تحول دون الحصول على التكنولوجيا بسهولة ونستطيع تقسيمها الى نوعين هما : مشاكل داخليه في البلد النامي . ومشاكل خارجية مرتبطة بموردي التكنولوجيا .

أهم المشاكل الداخلية

ـ ضعف فعالية المؤسسات التعليمية والثقافية . اذ أن الأمية لا تزال تشكل نسبة كبيرة جداً في معظم الدول النامية تصل في بعضها الى ٩٠٪ وبشكل عام يصل متوسط نسبة الأمية في الدول النامية ككل حوالي ٦٠٪ مقابل ٤٪ في البلدان المتقدمة ، ونسبة التلاميذ بالنسبة لعدد السكان ٣٨٪ في الدول النامية مقابل ٧٧٪ في الدول المتقدمة (١) . ومع هذا فان المؤسسات التعليمية والثقافية لا تتناسب مع المجتمع الجديد الذي تسعى الدول النامية للوصول اليه . أضف الى ذلك أن التعليم في معظمه ، سواء منه الثانوي أو الجامعي ، يتركز على التعليم



العام النظري أكثر من التعليم الفني والحرفي رغم أهميته في الدول المتقدمة .

* انخفاض المبالغ والأرصدة المعتمدة للبحوث وانماء وتطوير المعارف الفنية في الدول النامية . فبينما وجهت الولايات المتحدة الأمريكية ٤٫٢٪ من اجمالي الدخل القومي نحو البحث وانماء المعارف الفنية نجد أوروبا قد خصصت ما بين ١ و ٢٪ للغرض نفسه . بينما لم توجه دول امريكا اللاتينية مجتمعة سوى ٠٫٣٪ أما دول آسيا فكان ما خصصته لهذا الغرض يتراوح ما بين ٠٫١٪ و ٠٫٠٥٪ من اجمالي الدخل القومي في هذه الدول . اما افريقيا فان نسبة الانفاق على البحوث والانماء فيها تكاد لا تذكر .

* ولأسباب اقتصادية وجه جزء من استثمارات التصنيع في البلدان النامية للصناعات الواسعة ذات رأس المال الكثيف . في حين يجب أن تستحدث أعمال جديدة بكلفة رأس مال أقل كاستخدام الرأسمال في التجهيزات ، والأدوات اليدوية المحسنة والآلات البسيطة الصالحة لمعالجة المنتجات الطبيعية محلياً بحيث تسهم في رفع الانتاجية بصورة ملحوظه .

* نـدرة الانسجام بين القيادات الوطنية وفئات الخبراء الذين يرغبون في توجيه السياسة الاقتصادية للدولة طبقا لقوانين الخبرات الفنية التي اتبعتها معظم المنظمات الغربية .

* مؤسسات البحث الموجودة والممولة كلياً أو جزئياً من قبل حكومات الدول النامية تقوم غالباً بدور جزئي في التنمية الوطنية ويعتبر عملها أكثر اتصالا بمشكلات الدول المتطورة ومصالحها .

* معظم الخبراء في الدول النامية وجهوا جل عنايتهم الى وضع الخطط الدقيقة التي يرونها أساسية للتغلب على المشاكل الاقتصادية ولكنهم أهملوا الجوانب العلمية الكفيلة بتحقيق أهداف برامج التنمية الاقتصادية ونشر الوعي الاقتصادي بين المواطنين .

* الترسبات التاريخية التي تنتقل عبر الأجيال على شكل عادات وتقاليد قديمة . وما لها من آثار سلبية على مسار التنمية وتقبل التكنولوجيا خاصة في المجتمعات التي تعاني من المشاكل والمعوقات الاجتماعية .

* عدم الاستقرار السياسي في الدول النامية والذي ينتج عنه تغييراً دائماً في الخطط الاقتصادية لكل حكومة جديدة مما يعيق القيام بعملية التنمية اذ يصحب هذا التغير عدم توفر الأمن وهذا يحد من اسهام المواطنين الذين لهم دور أكبر في المجالات الانتاجية .

* كثيراً ما يلاحظ هجرة العقول البشرية كالعلماء والأطباء والمهندسين من البلدان النامية الى البلدان المتقدمة حيث يتوفر لهم المناخ العلمي الموائم لمؤهلاتهم العلمية .

وقد بلغ عدد المهاجرين المتخصصين من الدول النامية الى الولايات المتحدة خلال الفترة ما بين عامي ١٩٦١ و ١٩٧٠ ما يقرب من ٥٣ ألف شخص .

(١) الليبي ، « التنمية الاقتصادية » ، ص ٢٣ .

التكنولوجيا واهميتها للدول المتقدمة والنامية

وهنالك مشاكل أخـرى تتعلـق بضعف الأجهزة الادارية والتنظيمية بشكل عام وما يرتبط بها من انعدام تنظيم للملكية الصناعية وتدعيم مكاتب براءات الاختراع وتدريب الفنيين .

المشاكل الخارجية لنقل التكنولوجيا

ان مشاكل نقل التكنولوجيا لا تقتصر على ما يكمن في داخل الدول النامية حسب ما أسلفنا آنفاً . بل ان هناك مشاكل خارجية لها دور كبير في تحديد كيف يمكن الحصول على التكنولوجيا ، وهل توفر رأس المال النقدي يكفي للحصول عليها بيسر وسهولة دون أن يكون هناك عواقب اخرى ؟

والاجابة عن ذلك هي أن توفر رأس المال لا يكفي للحصول علـى التكنولوجيا . فهناك مشكلات يضعها موردو التكنولوجيا أمام البلدان النامية ، وتعتبر مجحفة بحق هذه الدول . ومن أهم هذه المشكلات :

* الأتاوة الباهظة : وهذه تدفع مقابل استغلال حق المعرفة الفنية في طـرق التصنيع أو المعلومـات المتعلقة باستخدام وتطبيق قواعد فنية صناعية . وتدفع الأتاوة اما على شكل مبلغ اجمالي دفعة واحدة أو أتاوة سنوية وهذه مبالغ طائلة لا تتكافأ اقتصادياً مع ما يعود عليها نتيجة الاستغلال .

* مدفوعات مقابل براءة اختراع قديمة ، وهي تكاليف باهظة تدفعها الدول النامية رغم أن القوانين تحدد البراءة من ١٥ الى ٢٠ سنة ، وهي اعطاء الحق لصاحب الاختراع استغلاله لفترة معينة ويصبح بعد هذه المدة دون حماية أي من الملك العام ولكن نتيجة لعدم توافر المعلومات الاساسية للدول النامية التي لا توجد لديها مكاتب منظمة للملكية الصناعية ولا تتمكن من الوقوف على آخر التطورات ، نتيجة لذلك تستغل الدول المتقدمة تخلف الدول النامية في هذا المجال . فتبيع لها براءة اختراع قديمة باتت عديمة الجدوى وتريد أن تتخلص منها فتبيعها باهظة التكاليف في الوقت الذي لا تبيع فيه براءة الاختراع الحديث متذرعة بعدم القدرة على استيعابها .

* شروط تعسفية يضعهـا موردو التكنولوجيا أمام البلدان النامية منها :

* تقييد شراء المستخدم : قد يلجأ مصدر التكنولوجيا الى وضع شروط تلزم بشراء السلع الوسيطة وبعض المعدات وقطع الغيار وغيرها مما له علاقة بالانتاج من المصدر ذاته أو من مصادر محددة مما لا يتيح للدول المستوردة للتكنولوجيا فرصة الحصول عليها من مصادر اخرى منافسة . وبهذا يتمتع المورد بمركز احتكاري يمكنه مـن تقاضي أسعار احتكارية .

* تقييد التصدير : يضع المصدر أحياناً شروطاً تحد من حرية المشروع في تصدير السلعة أو السلع المستفيدة من التكنولوجيا ، وهي قيود ضمنية تتمثل في توزيع الأسواق بين فروع الشركـات الدولية الأم أو توزيع الأسواق بين الشركات المختلفة . وقد تتمثل القيود في سياسة تسعير سلعة الصادرات أو المواد المستوردة لانتاج سلعة الصادرات وتحديد هذه الأسعار لتحقيق مصلحة الشركـات الأم مع الأخذ بعين الاعتبار مصلحة الشركة الفرعية أو الدولة النامية . أما القيود فتتمثل في :

* منع التصدير أو اشتراط الحصول على اذن مسبق من المصدر .

* السماح بالتصدير لدول معينة .

* تحديد السلع التي يمكن تصديرها أو الأسعار التي يجب تقاضيها أو تحديد كمية الصادرات أو منع تصدير السلع البديلة .

* شروط معينة : يضع مصدر التكنولوجيا شروطاً تقضي بتعويضه اذا تأثرت عائداته نتيجة تغير سياسة الدولة من حيث معدلات الضرائب او التعرفة الجمركية أو أسعار الصرف .

* تقييد المنافسة وذلك بطلب فرض رسوم جمركـية على السلـع المنافسة المستوردة ، وأحياناً يطلب بتقييد المنافسة المحلية أو دخول شركـات أجنبية أخرى الى السوق وقد يشترط أحياناً احتكار بعض الموارد الانتاجية الاساسية بالاضافة الى منع الاستمرار في استخدام التكنولوجيا بعد انهاء مدة العقد .

* حصر آثار التكنولوجيا : ويترتب على ذلك اسناد الأعمال الأساسية سواء الادارية أو الفنية الى الأجانب ، الأمر الذي يحول دون اكتساب ابناء البلدان النامية للمهارات الجديدة . كما يشترط غالباً عدم اطلاع طرف ثالث على التكنولوجيا المستوردة حتى ولو بمقابل ، مما يحدو بالمنتجين للاتجاه الى مصادر أخرى للتكنولوجيا فيترتب عليه زيادة أعباء المدفوعات بالعملات الصعبة .

ان التكاليف التي تتحملها الدول النامية والشروط التعسفية التي تفرض عليها من قبل محتكري التكنولوجيا تشكل ولا شك خطورة كبيرة على تلك البلدان ، فهي لا تهدد عملية التنمية في هذه الأقطار فحسب ، بل تهدد ايضاً بمخاطر التبعية التكنولوجية للأقطار المصدرة لها . وتتمثل تلك التبعية في أن معظم التكنولوجيا المتوفرة حالياً في الدول النامية مصدرها البلدان المتقدمة التي كانت حتى وقت قريب تفرض نفوذها على بعض الدول النامية □

توفيق ابراهيم الريس / الظهران

أشواك وأزهار

كَـــــدَتِ الأرضُ بساطـــاً يملأُ العينَـــيْنِ سحْــرا
فجلسنـا نحضُـنِ الانسامَ فِي الـــروضـةِ بِكْـــرا
والعصافــيْر تغنّي حـولنــا يُمنــا وبشْـــرا
فـــرأتْ عينــايَ عيـدانا على الأرض عِجـافـــا
لبست مـــن ورق الأنـــواء والقيظِ لحفافـــا
فسألت الصحب عنهـــا فأجـابـــوا :
أوَ لا تبصر تيجــــــانَ الـزهـــور
وعـــذارى الـــروض في البرد النضيرِ ؟
يتمايـــلـــنَ حبـــورا ، وبـــهـــاءً ودلالا
في انتظـــامٍ ، وانسجـــامٍ ، ويعانقـــنَ الجبـــالا
صـــاغهـن الله للحســـن وللـــروع مثـــالا
ليس فيهن نحيـــل أو ظليـعُ
نسقٌ حلـــوٌ ، وتشكيلٌ بـديـعُ

فمسحتُ الشمسَ عـــن وجهـي وأرخيتُ السُّـدولا
أبصرِ الزهــرَ – كمـا قـال أصيحابِـي – جميـــلا
لكـــن العيدانُ لـــم تخـــف عليّـا
فتركتُ الصحْـبَ حـــيْرانَ أسيـَّــا
أتملّى الـزهـــرَ عـــن قـــرب مَليّـا
انهــّـا يـا صحبُ عيـــدانٌ عجـــافٌ لاَ زهـــورُ
فعلتْ أصواتهـــم : هـــذا يغالـــي ويجُـــورُ
فـاستللتُ « العـودَ » والآلامُ في نفســـي تمـــورُ
أوَهَذا أيهـا الأغـرارُ زَهـْـرٌ ؟
مـــا كفاكـم هَذيَانٌ مستمر ؟
وتجادلنـا طويـلا :
انـــه زهــــرٌ يفـــوحُ
يمـــلأُ الروضَ شـــذاهُ
انـــه عـــودٌ طـريـــحُ
يَبستْ فيـــه الحيـــاه

ورأتْ عينــــايَ أشواكــاً على التَّـــلِّ البعيـــدِ
فسـألتُ الصحبَ عفـواً مـا الذي فـــوق الصعيـدِ ؟
فأجابـــوا بعـــدَ لأي بفتـــور وصُـــدودِ
انـــه زهـــرٌ وهـــل تخفى زهيراتُ الـــورودِ ؟
فتأمّـــلْ ذلك الـزهـــرَ الجميلا
باسمـــاً غضـــاً وميّـــاداً ظليلا
يحضـُـنِ النسمةَ لا يخشى الكبـولا
دمدَمتْ نفسي مـا هذي زهـورُ ؟
وتحدّيتُ صِحابـي ؟
انها شوك فلا يُجـــدي الغـــرورُ
وتجادلنا طويلا :
انه زهـــرٌ يفـــوحُ
غمـــرَ التـلَّ شـذاه
انـــه شوك طـريـــحُ
يَبِستْ فيـــه الحيـــاه

فهجرتُ الـــدوحَ أبكـي ضيعـةَ الـــذوقِ السليـمِ
أرسِلُ النظـراتِ في الأفـــقِ هـروبا مـــن كلـومي
فـــرأت عينـــاي روضـــاً وارفـــاً بين الكـــرومِ
فيـه أزهـــارٌ مـــن النرجس غضّه
ورياحـين على الـربـــوة بضّـــه
انهـــا زهـــرٌ يفـوحُ
يمـــلأ الـــروضَ شذاه
باسمُ النـــوْر طمـــوحُ
خفقت فيـــه الحيَـــاه
تتغنى حولـــه الأطيـــارُ نشوى
عاشق الأزهار ما العيدانُ زهْـرا
وتلال الشـوك لا تعطيك عطـرا
لا تظـــنّ العـــودَ زهـرا زانـه حســـنُ قـوامـــهْ
وتَـــر الشـــوك ورداً من أفـانـــينِ نظامِـــهْ
ليس بالشكل يكـــون الشعـر أزهــــارا جميلـــهْ
ينبتُ الـــزهـــرُ على التلِ وينمـــو في الخميلـــهْ

أبو فراس النطافي – أبها

أخبــار الكـتب

* ما زال الأديب السوري الأستاذ حسان بدر الدين الكاتب يواصل اصدار حلقات « الموسوعة الموجزة » تباعاً، فيخص كل جزء بحرف من أحرف المعجم وكل مجلد بأربعة أحرف . وآخر مجلد صدر من هذه الموسوعة هو المجلد الرابع ويضم حروف الشين والصاد والضاد والطاء .

* تمجيداً لذكرى الأديب الشاعر السعودي الراحل محمد حسن عواد ، أصدر الأديبان عبد الحميد مشخص ومحمد سعيد باعشن ، كتاباً كبيراً عنه عنوانه « العواد قمة وموقف » تضمن عشرات من الفصول والقصائد التي قيلت في العواد بعد وفاته ، بما في ذلك ندوة أدبية جرت في بيت العقاد وكان محورها الأستاذ العواد . وطبع الكتاب في مطابع دار الجيل بالقاهرة .

* ومن أدب السير كتاب « فريد الدين العطار » للدكتور أحمد معوض ، وهو دراسة لهذا الشاعر القاص أردفت بقصتين من اعداده هما « رابعة وبكتاش » و « شيخ صنعان » . وقد نشرت الكتاب الدار العربية للنشر والثقافة العالمية . كما صدر كتاب « يحي حقي وعالمه القصصي » للدكتور نعيم عطية وقد نشرتـه مكتبة الأنجلو المصرية .

* في الدراسة الأدبية صدرت طائفة كبيرة من الكتب منها : الطبعة الثانية لكتاب « خصائص الشعر الحديث » للدكتورة نعمات احمد فؤاد ونشر دار الفكر العربي ، و « بين الفولكلور والثقافة الشعبية » للاستاذ فوزي العنتيل ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية » مع ترجمة كتاب المعربات الرشدية ، وقد أعده الدكتوران نور الدين آل علي وأمين عبد المجيد بدوي ، وقدم له الدكتوران ابراهيم بيومي مدكور ومحمد عبد المنعم خفاجي ، ونشرته دار الثقافة للطباعة والنشر ، و « بناء القصيدة العربية » للدكتور يوسف حسين بكار ونشر دار الثقافة و « الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر » للدكتور عبد القادر القط ونشر مكتبة الشباب ، و « الموشحات الأندلسية » للدكتور محمد زكريا عناني ، ونشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ، و « الحب في الشعر الفارسي » للدكتورة عفاف السيد زيدان ، ونشر دار المعارف في سلسلة « كتابك » « وعشاق لكن شعراء » للاستاذ فتحي سعيد ، ونشر دار المعارف في سلسلة « اقرأ » و « مسرح أو لا مسرح » للاستاذ جلال العشري ونشر دار المعارف ، و « دراسات في أدب باكثير » للاستاذ عبدالله الطنطاوي وطبع سورية ، و « أغاريد الرافعي » وهو دراسة في شعر مصطفى الرافعي أعدها الأستاذ مصطفى نعمان البدري ونشرتها وزارة الثقافة العراقية .

* أصدر الأستاذ محمود محمد شاكر كتاباً جديداً عنوانه « برنامج طبقات فحول الشعراء » تضمن رداً مسهباً على المطاعن التي وجهت الى تحقيقه لكتاب ابن سلام الجهمي المشهور « طبقات فحول الشعراء » . ونشرت الكتاب مطبعة المدني .

* « الظرف المغلق » عنوان المجموعة القصصية الجديدة التي ظهرت للأديب القاص محمود البدوي ، وقد نشرتها مكتبة غريب .

* صدر للدكتور عزت قرني في سلسلة « عالم المعرفة » التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة بالكويت كتاب « العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة » .

* أصدرت مكتبة وهبه للاستاذ سعيد حوا كتابين جديدين هما « الرسول » وهو يقع في جزءين و « تربيتنا الروحية » .

* من الكتب الدينية التي صدرت أخيراً : « اعجاز النظام القرآني » للاستاذ احمد عبد الوهاب ونشر مكتبة غريب ، و « حياة سيد المرسلين محمد ، صلى الله عليه وسلم » للاستاذ محمد عطية الابراشي ، ونشر القاهرة و « الوحدة الاسلامية » للعلامة الراحل الشيخ محمد أبو زهرة ونشر دار الفكر العربي ، و « الامام محمد عبده ومنهجه في التفسير » للدكتور عبد الغفار عبد الرحيم ونشر دار الأنصار .

* هذا وقد نشرت دار الأنصار الجزءين الثالث والرابع من « دقائق التفسير » لابن تيمية من تحقيق الدكتور محمد الجليند وبهما اكتمل الكتاب ، و « الجهاد ذروة سنام الاسلام » للاستاذ احمد محمود السيد ، و « كيف ولماذا نحفظ القرآن الكريم » للاستاذ فيصل شبيب .

* تحت الطبع كتاب « المولد الشريف » وهو منظومة للشاعر التركي القديم سليمان شلبي وقد شرحها ودرسها دراسة مقارنة وترجمها عن التركية شعراً الدكتور حسين مجيب المصري .

* « حديث في الطب » كتاب للدكتور الطبيب مصطفى الديواني فيه تجارب طبية وفوائد علاجية وقصص طريفة مما صادفه الطبيب في حياته اليومية . وقد نشرت الكتاب الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* ترجم الأستاذ جان عبده سليم كتاب « الخبز وحده » للستر براون وقد نشرته مؤسسة التعاون عن مركز الدراسات الصحفية فيها .

* العلامة الراحل الشيخ الدكتور أحمد الشرباصي المتوفى في ١٤ أغسطس الماضي ، سيعاد طبع المجموعة الكاملة لكتبه لتصدر تباعاً ، وهي تزيد على ستين كتاباً .

* يعكف الأستاذ عجاج نويهض على تسجيل ذكرياته عن الحياة العربية في ستين عاماً ، يورد فيه ما عرفه وخبره من أحداث هذه الفترة التي عاصرها وكان قريباً من أعلامها .
« زكي المحاسني » يصدر قريباً بمقدمة للدكتور شوقي ضيف ، كما تصدر له « الملحمة العربية » التي نشر فصولها تباعاً في « قافلة الزيت » خاصاً اياها بهذه الملحمة .

* كتاب « الأدب المقارن » الذي أصدر الأستاذ نجيب العقيقي طبعته الأخيرة في ثلاثة أجزاء ضخام ، يعاد طبعه مزيداً منقحاً مع التوسع في باب تراجم الأدباء على الصعيد العربي كله . وفيما يذكر ان بعض دور النشر الأجنبية عاكفة على ترجمة هذا الكتاب الى اللغتين الانكليزية والفرنسية لغزارة مادته عن الحركة الأدبية العربية المعاصرة .

* « الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود وشعره » كتاب سبق صدوره للدكتور كامل السوافيري ، وتصدر له طبعة ثانية قريباً □

كتب مهداة

* « عواطف انسانية » هو أول ديوان شعر يصدر عن ادارة النشر في تهامة لواحدة من سيداتنا السعوديات الجامعيات هي الدكتورة مريم البغدادي ، الاستاذة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، ووكيلة كلية الآداب بالجامعة .

ويشتمل الديوان على مجموعة من القصائد تحمل صوراً انسانية حية . ويعتبر هذا الديوان ثمرة من ثمار نهضتنا الثقافية يحدونا الى التطلع الى المزيد من انتاج المرأة السعودية الأدبي لاثراء المكتبة العربية .



* ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي ما أصدرته تهامه وهو كتاب « تاريخ عمارة المسجد الحرام » لفضيلة الشيخ المرحوم حسين عبد الله باسلامة من علماء المسجد الحرام وعضو مجلس الشورى المتوفى عام ١٣٥٩ هـ .

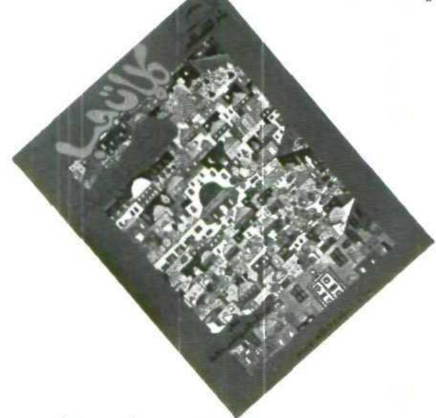
وهذا الكتاب من أدق المصادر وأوثقها في تسجيل فترة هامة من تاريخ المسجد الحرام . وقد ظهر في طبعته الأولى منذ نصف قرن تقريباً ، حيث طبع في المطبعة الأهلية بجدة . وقد قامت تهامه بتصويره ، بنفس طباعته القديمة ، وأصدرته على شكل الطبعة الثالثة . وترجع أهمية الطبعة بالاضافة الى اهمية الكتاب كأثر هام من تراثنا الاسلامي ، الى انها تسجيل لفترة من تاريخ حركة الطبع والنشر في المملكة العربية السعودية .

* صدر عن منشورات نادي مكة الثقافي الجزء الأول من كتاب « أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان » للاستاذ محمد بن أحمد العقيلي ، حيث تناول المؤلف بالدراسة والبحث آثار بعض الأدباء والمؤرخين والفقهاء في العلم والأدب .

* صدر مؤخراً عن النادي الأدبي بالرياض كتاب بعنوان « موجز تاريخ الطب » للدكتور يوسف عبدالله الحميدان يتناول الكاتب فيه مرحلة الطب ما قبل الاسلام حيث احتوى على مقدمتين وايضاح ، ثم استعرض تاريخ الطب في الحضارات القديمة . واشار الى ان مسيرة الطب انطلقت من بلاد ما وراء النهرين نحو الغرب ، ويرى ان تاريخ الطب يأتي تبعاً للمقارنة بين حضارات العرب وما قابلها من تأخر عند الأمم المجاورة أو المعاصرة . ويقع الكتاب في ١٧٠ صفحة من الحجم المتوسط



* « الثقافة الاسلامية وحواضرها » للاستاذ أحمد مدني ، وهو يعالج قضايا ثقافية اسلامية هامة ، كأصول الثقافة الاسلامية ، والمد الثقافي خلال العصور الاسلامية ، وحواجز الثقافة في الجزيرة العربية ، والمشرق الاسلامي ، وفي شمال أفريقيا وفي الأندلس .



* من مطبوعات نادي الطائف الأدبي الأخيرة ، رباعيات شعرية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري للشاعر عبدالسلام هاشم حافظ في كتيب « كلمات حب الى المدينة المنورة » . والقصيدة تصور المشاعر الجياشة المفعمة بالحب والولاء لمدينة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ولرسالته الخالدة .

* « مطلات على الداخل » لعلوي طه الصافي ، وهو عنوان كتاب الشهر الذي يحمل رقم ١٨ ضمن سلسلة الكتب التي اصدرها النادي الأدبي بالرياض مؤخراً ، والكتاب يتناول بعض المواقف الاجتماعية بأسلوب قد يأخذ شكل الأقصوصة حيث يطل من خلالها على أعماق النفس والمجتمع . ويقع الكتاب في ١٠٨ صفحات من الحجم المتوسط .

* ومن ضمن اصدارات النادي الأدبي بالرياض ديوان بعنوان « صراع مع النفس » شعر عبد الرحمن صالح العشماوي ، وقد ضمنه مجموعة خواطر اسماها محطات تلتها قصائد الديوان التي بلغت خمساً وعشرين قصيدة استوحاها الشاعر من لحظات الحزن التي قد تمر بالانسان يسائل فيها نفسه حيث لا يجد جواباً يشفيه . ويقع الديوان في ١٠٢ صفحة من الحجم المتوسط .



* كما اصدر النادي الأدبي بالرياض كتاباً بعنوان« الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي» للدكتور محمد علي الهرفي . ويحاول الكاتب من هذه الدراسة ابراز المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية مع الشعر العربي في بلاد الشرق مع الاستشهاد بنماذج شعرية لشعر الجهاد في فترات متفرقة من احداث الحروب الصليبية . ويقع الكتاب في ١٠٢ صفحة من الحجم المتوسط .

* « المدرجات الزراعية في جبال السراة » . كان ذلك موضوع رسالة « الماجستير » التي قدمها السيد صالح علي الشمراني الى جامعة ولاية ميتشيغن بالولايات المتحدة الأمريكية ، ونال على أثرها درجة « الماجستير » في الآداب ، فرع الجغرافيا .

وقد ركز السيد صالح في رسالته الجامعية الرائدة ، على دراسة تشكيلة وتركيبة المدرجات

الزراعية والوظائف والمهام التي تقوم بها ، وخاصة تلك المنتشرة في منطقة « باشوت » احد أودية قبيلة شمران الواقعة في جبال السراة الى الجنوب الغربي من المملكة . وقد تمت الاستعانة بالخرائط والصور الجوية والاحصاءات التحليلية لدراسة العناصر الفاعلة في المدرجات مثل تحليل خواص التربة ، ونسبة سقوط الأمطار ، ودرجة ميلان المدرجات وانواعها ، وغير ذلك . ولا نجاز ذلك تم اجراء مسح شامل للمدرجات الزراعية المتناثرة على جبال السراة وهضابها . ومما يجدر ذكره ان سلسلة جبال السراة تمتد نحو ٦٠٠ كيلومتر طولا ، ويتراوح عرضها بين ١٠ و ٤٠ كيلومترا ، وتمتد من حدود اليمن جنوباً حتى أطراف بوادي الشام شمالا .

وقد استعان الباحث أيضاً بخبرات الفلاحين وملاحظاتهم ، بشأن معرفة أنواع المحاصيل الزراعية التي يعتمدون عليها ، وبين مدى العلاقة العضوية التي تربط بين النشاط الانساني وبين خصوبة المدرجات ، وملاءمتها للنشاط الزراعي .

وتكشف هذه الدراسة عما يواجه مستقبل الزراعة المكثفة من أمور تحتاج الى نظر ، في منطقة . . باشوت خاصة ، وبمستقبل المدرجات المتناثرة على جبال السراة عامة ، حيث ان التلف سوف يلحق تدريجياً بهذه المدرجات وذلك لسببين هما :

أولا : تركيز النشاط الزراعي على المدرجات المائلة فقط لسهولة زراعتها .

ثانياً : هجرة الأيدي العاملة بشكل متزايد ، وعزوف الناس عن النشاط الزراعي .



* « المجهر والبنيات الدقيقة » : من تأليف الدكتورين عبد العزيز حامد أبو زنادة من جامعة الرياض ، ومحمد الجوهري محمود من جامعة الملك عبد العزيز ، والغاية من هذا المؤلف هو اثراء اللغة العربية بنوع جديد من المعرفة ، ويشتمل على بابين أحدهما يبحث في المجاهر الضوئية والالكترونية وتقنيتهما ، والآخر في البنيات الدقيقة وتشمل الخلية والتنظيمات الخلوية ، والكتاب مزود بأربعة ملاحق ، ويقع في مائة وثلاث وأربعين صفحة من القطع المتوسط وقامت بنشرة عمادة شئون المكتبات بجامعة الرياض .



* ضمن منشورات النادي الأدبي بالرياض صدر مؤخراً كتاب « أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها » تأليف الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي .

وقد أعده للنشر الشيخ حمد الجاسر حيث عثر على مخطوطة الكتاب في مكتبة « بورصة » في تركيا ، وهي الجزء الأول من الكتاب . ويعلق الشيخ الجاسر على الكتاب بقوله : انه من آثار عالم تتصف آثاره بالأصالة والاستيعاب ، وانه يحوي على معلومات قد لا نجدها في غيره من الكتب تتعلق باللغة والأدب والشعر فيها طرافة وجدة وأصالة . ويقع الكتاب في ٢٠٤ صفحات من الحجم العادى .

* صدرت مؤخراً ثلاثة كتب للاستاذ أحمد محمد جمال استاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز والكاتب الاسلامي المعروف . وكان الكتاب الأول بعنوان « الشباب دراسات ولقاءات » وهو ثالث كتاب يتحدث فيه عن الشباب والى الشباب على المستوى المحلي والعربي والاسلامي . والكتاب فصلان . . الفصل الأول لخص فيه آراء بعض رجال التربية والتعليم والفكر والدعوة في العالم الاسلامي ، حول الشباب واقعاً ومسؤولية ، وما هو واجب المجتمع المسلم نحو الشباب لتقويم انحرافه ، وترشيد سلوكه . . للانتفاع به غداً عندما يتسلم مقاليد الأمور في أوطانه العربية والاسلامية . أما الفصل الثاني ، فقد تحدث فيه عن لقاءاته بالشباب في بعض المعسكرات والندوات التي أقيمت داخل المملكة العربية السعودية وخارجها في المحيط العربي والاسلامي والأوروبي . . وخلال تلك اللقاءات طرح الكاتب مسائل ومشكلات تتعلق بالشباب ، وكان له حديث وحوار معهم حولها .

والكتاب الثاني عنوانه « عقود التأمين بين الاعتراض والتأييد » وقد تناول الكاتب مشكلات العالم الاسلامي من هذا الجانب بحيث ناقش فكرة الرفض ، والتحريم ، والمنع دون ايجاد البديل الحلال ، أو العوض المباح ، أو التنظيم المستطاع مع أن المنطق والعقل ومبدأ « الاجتهاد » هي أصول أو قواعد أو منطلقات نشأ عليها وبها الفقه الاسلامي الواسع الرائع خلال القرون الهجرية الأولى والوسطى ، وقدم للمسلمين كل ما تتطلبه أحداثهم ومشكلاتهم العصرية من حلول وتنظيمات . وقد أورد الكاتب مثالين على ذلك : « كفتوى » صدرت بجواز الاحرام من جدة بوصفها الميناء الجوي الأخير لحجاج الطائرات والاعتراض الذي ورد على ذلك من بعض رجال الدين واعتبروها باطلة لا يجوز الأخذ بها وطالبوا بتقيد الحجاج بالمواقيت الأربعة . أما المثال الثاني فهو ما صدر من فتاوي فردية وجماعية بتحريم « التأمين والبنوك الربوية » حيث أن بها جهالة وغرراً ، وأكلا لأموال الناس بالباطل . وطالب الكاتب بتحرك العلماء والهيئات الدينية للاتصال برجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال لايجاد حلول بديلة وتنظيمات مقبولة شرعاً ، على غرار البنوك الاسلامية لمواجهة البنوك الربوية دون أن نظل نحرم ونرفض ، والمشكلات تتجدد وتتعدد وظروف الزمان والمكان تتطور وتتغير دون ان نجد الحلول الحلال البديلة .

أما الكتاب الثالث فعنوانه : « قضايا معاصرة في محكمة الفكر الاسلامي » ويعرض فيه بعض القضايا التي اختلف حولها العلماء والمفكرون والكتاب قديماً وحديثاً . . وقد أذيعت تلك الفصول من اذاعة السعودية تحت عنوان (آفاق اسلامية) ، تناولها الكاتب بالبحث والدراسة ، والحوار والجدل ، في بعض الندوات والمجالس الثقافية والفكرية ، وعلى صفحات المجلات العلمية والأدبية .

* « المغامر — ابن خلدون » كتاب أدبي جديد للاستاذ نادر السباعي ، يتناول فيه تاريخ حياة ابن خلدون بأسلوب قصصي ممتع . كما يعرض المؤلف في كتابه للأحداث قبل ايرادها ويسوقها بأسلوب سلس ، كذلك ينوه عن السبق العلمي للعلامة ابن خلدون لابتكاراته ووضعه أسس علم الاجتماع الحديث □

أخبار الزيت المصورة

افتتاح معمل تجزئة الغاز وفرضة التصدير بالجعيمة

افتتح جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز في ١٩ محرم ١٤٠١ هـ الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٨٠ معمل تجزئة الغاز وفرضة التصدير بالجعيمة ، في حفل رسمي حضره صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ، ورئيس الحرس الوطني وعدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء والمعالي الوزراء وكبار المسئولين .

يعتبر معمل تجزئة الغاز في الجعيمة من أهم أقسام شبكة الغاز الرئيسية ، ومن أفضل المعامل من نوعها في العالم من حيث التصميم والكفاءة . بدأ تشغيله في الأشهر الأولى من عام ١٤٠٠ هـ وذلك قبل الموعد المقرر أصلاً لافتتاحه بحوالي الشهرين . ويتلقى هذا المعمل سيلا من سوائل الغاز الطبيعي عبر خط أنابيب ممتد من معمل شدقم ، فيقوم بتجزئتها الى منتجات صالحة للبيع والتصدير الى الأسواق العالمية . وهذه المنتجات هي البوتان ، والبروبان ، والبنزين الطبيعي .

ويجري حالياً انشاء معمل تجزئة ثان في ينبع ، ومن المقرر انجازه في الربع الأول من عام ١٤٠٢ هـ حيث سيتلقى سوائل الغاز الطبيعي من معامل الغاز في المنطقة الشرقية عبر خط الأنابيب الممتد في عرض المملكة العربية السعودية بطول ١١٧٠ كيلومتراً . كما تم تشغيل معمل آخر للغاز في شدقم . وبالاضافة الى ذلك يوجد حالياً معمل للغاز سيكتمل انشاؤه في العثمانية في شهر جمادى الأولى ١٤٠١ هـ الموافق ابريل ١٩٨١ م □



مشروع جديد لتخزين الغاز الطبيعي السائل

في نهاية العام الحالي ، سيكون بمقدور أرامكو أن تبدأ بضخ سوائل الغاز الطبيعي والايثان في مكمن في أعماق الأرض في حقل الزيت بالقطيف .

وقد أمكن تحقيق عملية حقن الغاز الطبيعي السائل في خزان في باطن الأرض نتيجة تضافر جهود مشتركة قامت بها بعض ادارات الاختصاص بهدف تخزين الكميات الفائضة من الغاز الطبيعي السائل والايثان المعالجة في معمل التجزئة بالجعيمة . وعن طريق اجراء عملية تنسيق وتوازن بين الانتاج والاستهلاك في الجعيمه ، فان مشروع التخزين هذا سيكون له الأثر الفعال في المحافظة على منتجات هامة جاهزة للمبيعات في المستقبل .

يبلغ عمر الخزان الأرضي حوالي ١٣٠ مليـون عـام ، وهو مكمن هـائل تنفذ اليه السوائل ويمتد على طول القبـاب في القطيف من الشمال الى الجنوب ويقـع على عمق أكثر من ميـل واحد في بـاطن الأرض . وتفصل تكوينات غير نافذة بين هذا الخزان وغيره من المكامن التي تحتوي على الماء أو الزيت . وقد تم حفر أربعة آبار في القبة الشمالية للغرض نفسه ، وسيجرى حقن الايثان في أربع آبار في القبة الجنوبية .

ويرتكز مشروع الحقن ، بالنسبة للغازات الطبيعية السائلة ، على مبدأ الضخ بالضغط العالي ، وبالنسبة لغاز الايثان فانـه يرتكز ، على الضغط للمحافظة على ابقاء الغاز في حالة التكثيف حتى يمكن نقله كسائل، وتوجد المضخات والضاغطات بالاضافة الى المعدات الرئيسية الأخرى لاعادة الاستخلاص فيما بعد ، وتدعى اعادة الانتاج ، ضمن مركز التجزئة في الجعيمة .

وتستطيع أربع مضخات أن تحقن في القبة الشمالية في اليوم الواحد ما مقداره ٢٢٥٠٠٠ برميل من منتجات الغاز الطبيعي السائل ، و ١١٥٠٠٠ برميل من البروبان و ٦٠٠٠٠ برميل من البوتـان و ٥٠٠٠٠٠ برميل مـن البنزين الطبيعي .

ويصل خطان من الأنابيب مدفونان في باطن الأرض قطر الواحد منهما ١٤ بوصة ، مرافق الحقن في الجعيمة بالقبة الشمالية في حقل القطيف ، على بعد حوالي اربعة أميال ونصف الميل ، وتتجـه خطوط منفردة الى كل من الآبـار الأربع ، وخلال فترة التشغيل الأولية سيكون الخطان جاهزين للحقن ويمكن استخدامهما لضخ البروبان ، والبوتان والبنتـان أو البنزين الطبيعي الى آبار منفصلة أعدت خصيصاً لهذه المنتجات . وسيكون بامكان الخطين لاحقا القيام بعمليتي الحقن واعادة الانتاج في آن .

وستتم عملية حقن الايثان بواسطة مجموعة متوازية من الضاغطات ، تضم كل مجموعة ضاغطة تقوية عالية الضغط وسيكون بالامكان حقن ١٨٠ مليون قدم مكعب من الايثان في اليوم الواحد .

ويمتد خط من الأنابيب قطره ١٤ بوصة مسافة ١٥ ميلاً بين الجعيمة وقبة القطيف الجنوبية مع وجود خطوط منفصلة تصل الى كل بئر من الآبار . وسيكون بالامكان معاودة الانتاج عن طريق استخدام الخطوط نفسها □

تركيب ثلاث مداخن فولاذية في العثمانية

جرى مؤخراً تركيب ثلاث من أطول المداخن الفولاذية في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية وذلك في منطقة معمل الكبريت التابع لمعمل الغاز في العثمانية ، وتبلغ زنة الواحدة من هذه المداخن الثلاث ١٣٣ طناً ، وقطرها ١٧ قدمـاً عند القاعدة ، وارتفاعهـا ١٥٠ قدماً ، أو ما يساوي حوالي ارتفاع عمارة مؤلفة من ٢٥ طابقاً .

ولانجاز عملية الرفع . جرى احضار رافعتين قوة احداهما ٣٠٠ طن ، والثانية ١٥٠ طناً . وقد تم تثبيت الرافعات الثلاث في الأماكن المعينة لها بعد حسابات دقيقة تم التوصل اليها مسبقاً لضمان رفع المدخنة بشكل عمودي دقيق لترتكز على القاعدة المعدة لها مباشرة .



وقد استخدمت ثلاث رافعات قوتها ٣٠٠ طن ومرفاع زحاف قوته ٣٠٠ طن ومرفاع زحاف آخر قوته ١٥٠ طن . وقد جرى تثبيت الشاحنة المرفاع في موضعها بواسطة أربع ركائز هيدروليكية احتفظت بالرافعة ثابتة في موضعها أثناء عملية الرفع . وعند الضرورة تستطيع الرافعة الزحافة التحرك قليلاً جداً خلال عملية الرفع مما يجعلها ذات قيمة فيما لو تبين أن هناك اختلافاً بسيطاً في الاتجاه العامودي .

هذا وتجري اقامة معمل الكبريت في العثمانية ضمن نطاق مشروعات أرامكو للغاز □

وحدة جديدة لتحلية مياه البحر برأس تنورة

بدأت وحدة التبخر السريع العمل في معمل التكرير برأس تنورة ، مما أدى الى زيادة انتاج الماء المقطر في معمل التكرير الى ٨٠٠٠٠٠ رطل في الساعة . ويستخدم الماء المقطر كلقيم للمراحل التي تشكل الأساس للعمليات في معمل التكرير .

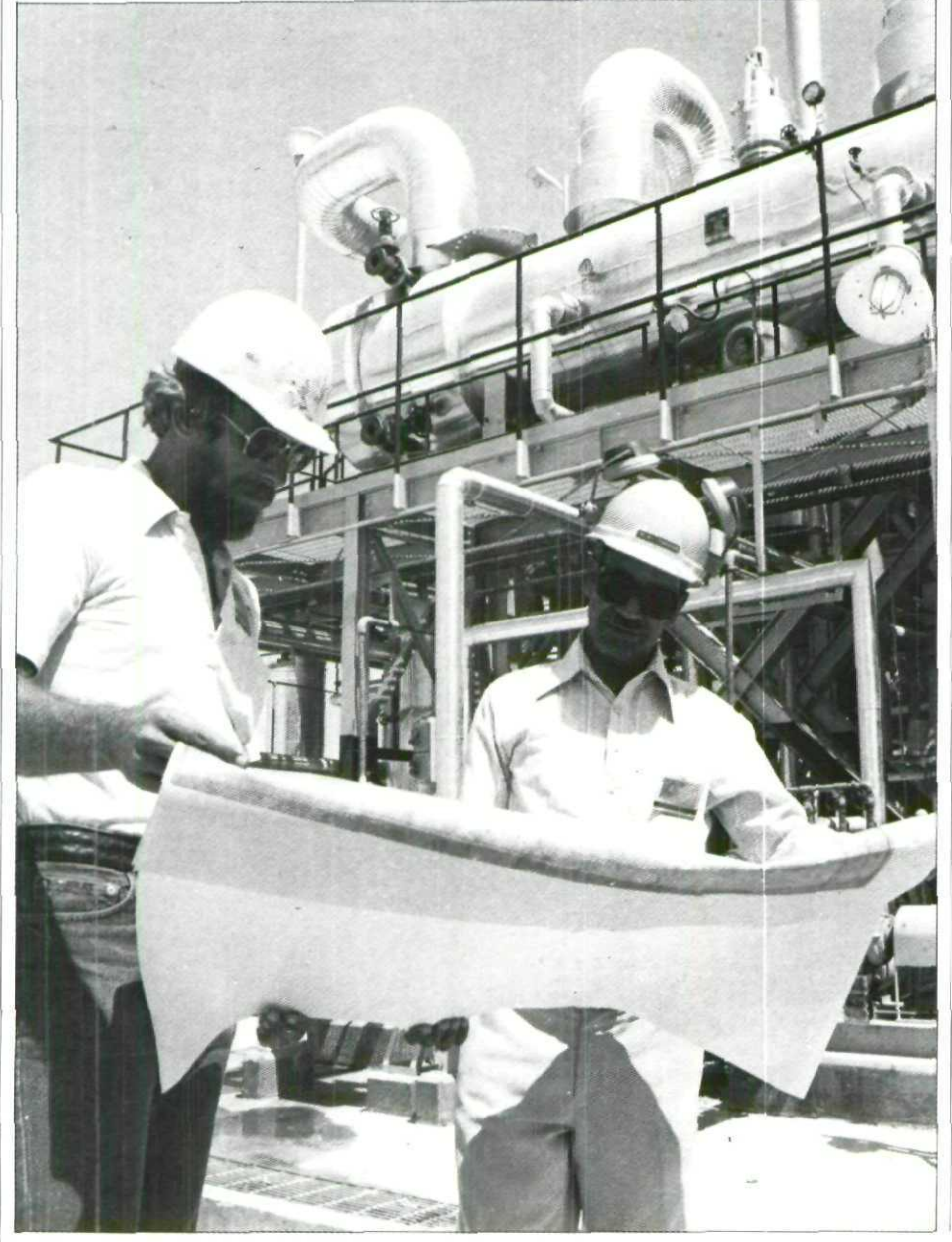
تستقبل الوحدة الجديدة ثلاثة ملايين رطل من ماء البحر في الساعة وتنتج ١٥٠ ٠٠٠ رطل من الماء المقطر في الساعة .

تتبع الوحدة الجديدة وهي الخامسة من نوعها واكبر وحدات التبخر السريع ، طريقة للتبخر السريع من ١٥ مرحلة . أما وحدات التبخر السريع الأربع الأخرى فتتبع طريقة للتبخر السريع من ١٢ مرحلة .

وتشتمل الوحدة الجديدة من الداخل على مجموعة من أنابيب التكثيف ، ومجموعة من الصفائح المعدنية وقناة للتقطير ، وصندوق للتقطير ، وصفائح معدنية مساندة وأوعية لفصل الرذاذ ، وصندوق للوميض .

ويحدث التغير فجأة في الوميض فيتحول الى بخار عندما يدفع الماء المالح في حجرة تظل محتفظة بدرجة حرارية أقل من درجة حرارة الماء المالح الداخل اليها . وعندما يبدأ الماء المالح بالتبخر داخل الغرفة . يبرد السائل حتى تصل حرارة الماء المالح درجة تشبع تتعادل مع درجة الضغط داخل الغرفة . وهكذا يتم استخلاص البخار من الماء المالح عن طريق انخفاض الضغط بدلاً من رفع الحرارة .

وقد تم أيضاً انشاء خزان للتزود بماء البحر في الموقع واربع مضخات دفع وخزان للتكثيف سعته ٥٠ ٠٠٠ برميل مما أدى الى رفع طاقة التكثيف في معمل التكرير الى ٥٠ في المئة والذي من شأنه ان يسمح بمرونة أكثر بالنسبة للعمليات في معمل التكرير □



الدلفين القوي يجعل عملية الشحن اكثر سلامة في المرسى البحري

أكملت أرامكو في الآونة الأخيرة أكبر مشروع لتركيب « الدلفين » في رأس تنورة بعد ثلاثة أسابيع من بدء العمليات في المرسى البحري .

وقد تطلبت العملية ابدال السياج الخارجي أو تسييج الدلفين في مرسى رقم ١٧ من الجزيرة الاصطناعية رقم ٣ .

ان ما أسميناه الدلفين هنا ليس بحيوان البحر الضخم المعروف في الخليج ولكنه هيكل منتصب حر الحركة يقام ليتحمل حركة الناقلة الجانبية حين دنوها من المرسى البحري لشحن الزيت .

لقد استبدل الدلفين القديم بآخر جديد يقف على ثلاث دعامات اسطوانية قطرها ٤٨ بوصة وارتفاعها يزيد على ستة أقدام .

ان المحيط الأكبر للهيكل الجديد يعطي الدلفين سعة أكبر من السابق ليستطيع امتصاص الحركة بشكل أفضل مما سيجعل عملية اقتراب ناقلات الزيت العملاقة ذات حمولة ٢٥٠ ألف طن أكثر أماناً وسلامة .

ويعتمد بناء الدلفين على الاحصاء والمعلومات اليومية الدقيقة التي تحسب رد فعل المرسى لحركة الموج بوحدات دقيقة تصل الى جزء من المليون من القدم لكل رطل من الطاقة ، وكل هذا يعني ان على الدلفين أن يكون كبيراً وقوياً بما يكفي لتحمل ضربات ناقلات الزيت العملاقة التي تبحر في منطقة المرسى .
والدلفين هو الذي يؤمن عملية الرسو بسلامة حتى لا تصطدم السفينة بالمرسى نفسه .

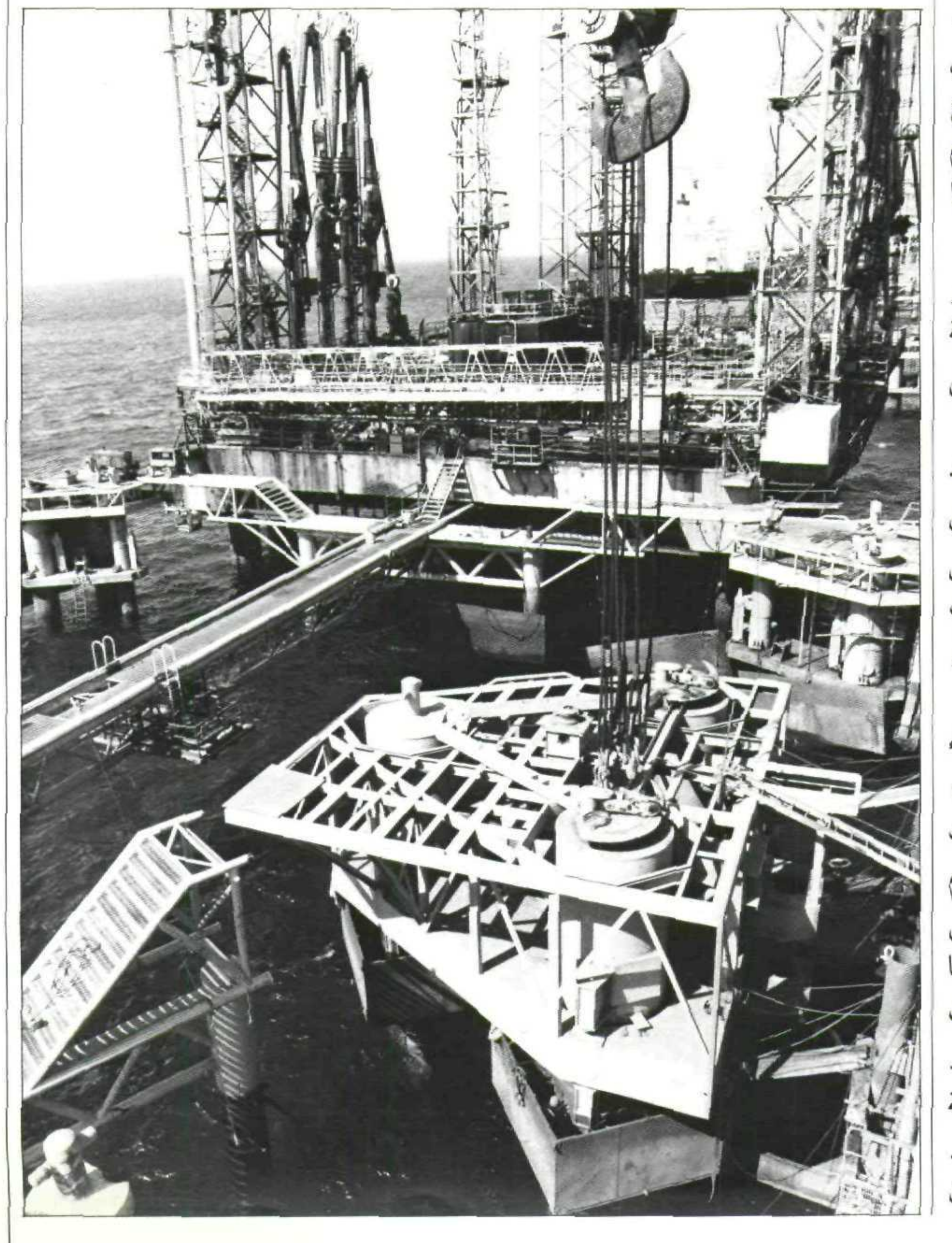
وحتى في حالة هدوء البحر ، فان رسو الناقلات عملية دقيقة وحساسة وتتم بواسطة مرشدين يقودان الناقلة الى منطقة المرسى .

أما في حالة هيجان البحر فان العملية تكون أكثر تعقيداً اذ ان الدلفين يتعرض نتيجة لذلك لضربات عنيفة .

ان المرسى رقم ١٧ يسبب ضربات قوية للدلفين حيث انه يستخدم في تحميل الناقلات الضخمة في أيام البحر الهائجة .

ولسوف تساعد الدعامات الثلاث الجديدة « الدلفين » على امتصاص رد فعل حركي قدره ٤,٥ مليون رطل من الطاقة .
وتزن الواحدة من هذه الدعامات ١٦٥ طناً ويبلغ طول كل منها ١٩٠ قدماً .

وعلى هذه الدعامات يرتكز هيكل الدلفين الذي يبلغ وزنه ١٧٦ طناً بما في ذلك قاعدة السياج الواقي الذي تسند اليه الناقلة اثناء تحميلها □



تأملات

سحابٌ يفادى ؟ أم سرابٌ بفدفد ؟ … أم الدهر ان صافاك عاداك في غد ؟ !
فمالي أرى الأيامَ تسرعُ في الخطى … ومـا ظفرتْ مما أؤمّله يدي
ومـا أملي فيها سوى حلم نائم … ومـا تصدق الألوان في كل مشهدِ
ومن يبن بالأحلام قصراً فانه … يضيّع عمراً في متاهة فدفدِ

* * *

أتهزلُ في دنيا تجدُّ ؟ وتبتغي … ثماراً ؟ ولم تغرسْ بسهلٍ وأنجُد
فانكَ ما أعطيتَ ساقك باطلا … ولكن اذا طال المقامُ فجددِ
وكفكَ ما أعطيت عفواً وانما … لتحظى بها في الدهر من كلِ مقصد
فان جمحت عنك الحياة فقل لها … سعيت وأعضائي بذلك شهّدي
نجحت وان لم ألقَ جاهاً ومنصبا … وحسبيَ أنّي ما غمدت مهنّدي
عليَّ بأن ألقي شباكي مؤملا … ولا ذنبَ لي ان لم أكن بين صُيّد

* * *

وما الجاه فيما قد تثمّر من غنىً … اذا كان للأخلاق جدّ مبدد
ورب يسارٍ كان شراً لأهله … ورب فقير للمكارم يهتدي
وما ينبت الصوان زهراً وانما … يجود به ترب بسافية ندى
وما قيمة الدنيا لمن حازها غنىً … وما هو في أحيائها بمخلد
وما المال عنوان الفضائل للفتى … اذا لم يتوّج بالخلاق ويحمد
يؤلف ما بين الرفاق بعرفه … فلا خير في الدنيا بعيشٍ مفردِ

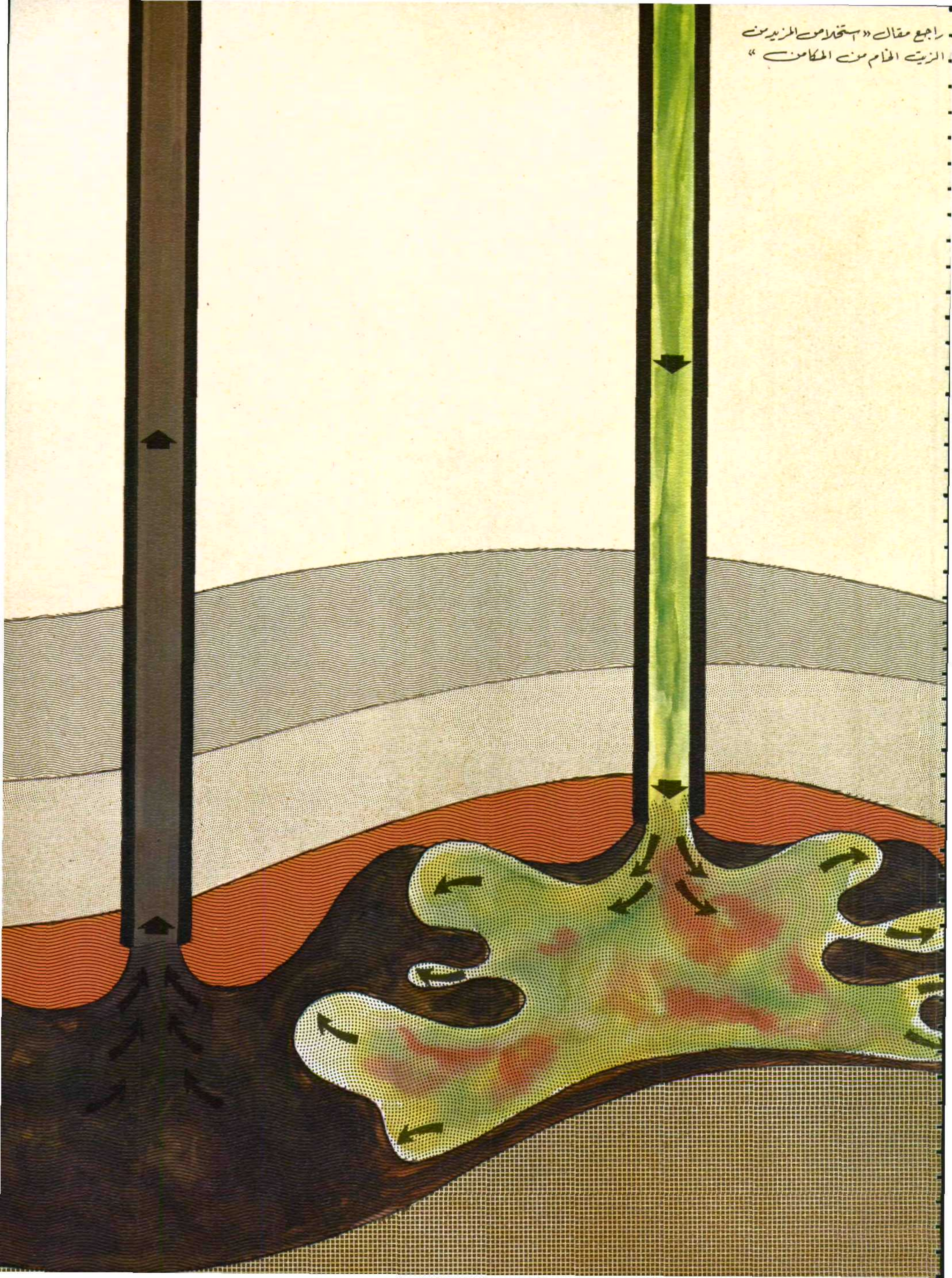
* * *

وما لي أرى الخلان كالبرق خلّباً … مودّتهم ريحٌ تروح وتغتدي
اذا صنعوا فوق الوجوه ابتسامةً … يلوح شرار الحقدِ من عين حُسّد
اذا الله قد اعطاك خيرَ صحابةٍ … أمِنت فلا تخشى اساءة معتدِ
فلا خير في الدنيا اذا لم يكن بها … خليل يفدّيني بروح وأفتدي
فما خلقت الا لعيش جماعة … ولا عيش فيها للقصي المشردِ
ولكنني ما عشت لم ألقَ صاحبا … صفا قلبه في عشرة وتودد
فعشت على علات صحبي اذا بغوا … عدلت لنحيا في وفاق ممددِ

* * *

اذا أنت لم تغمض على عيبِ صاحبٍ … لبثتَ حياةً في افتراق مؤبد
فلِنْ جانباً للناس تلقَ أبيّهم … كظلكَ مهما تبتعدْ لك ينقدِ
تواضعْ تكن كالبدرِ في الأفق عرشه … وفي الأرضِ مشكاة لمن شاء يهتدي
وكالغيث ينمو في السحابِ وقطرُه … ثمار على الغبراء يقطف باليدِ

احمد محمد أبو شلباية — الرياض



راجع مقال «استخلاص المزيد من
الزيت الخام من المكامن»



خيوط الغزل وهي تتحول إلى العباءة.

راجع مقال «صناعة العبي والمشالح» تصوير: علي عبدالله خليفة